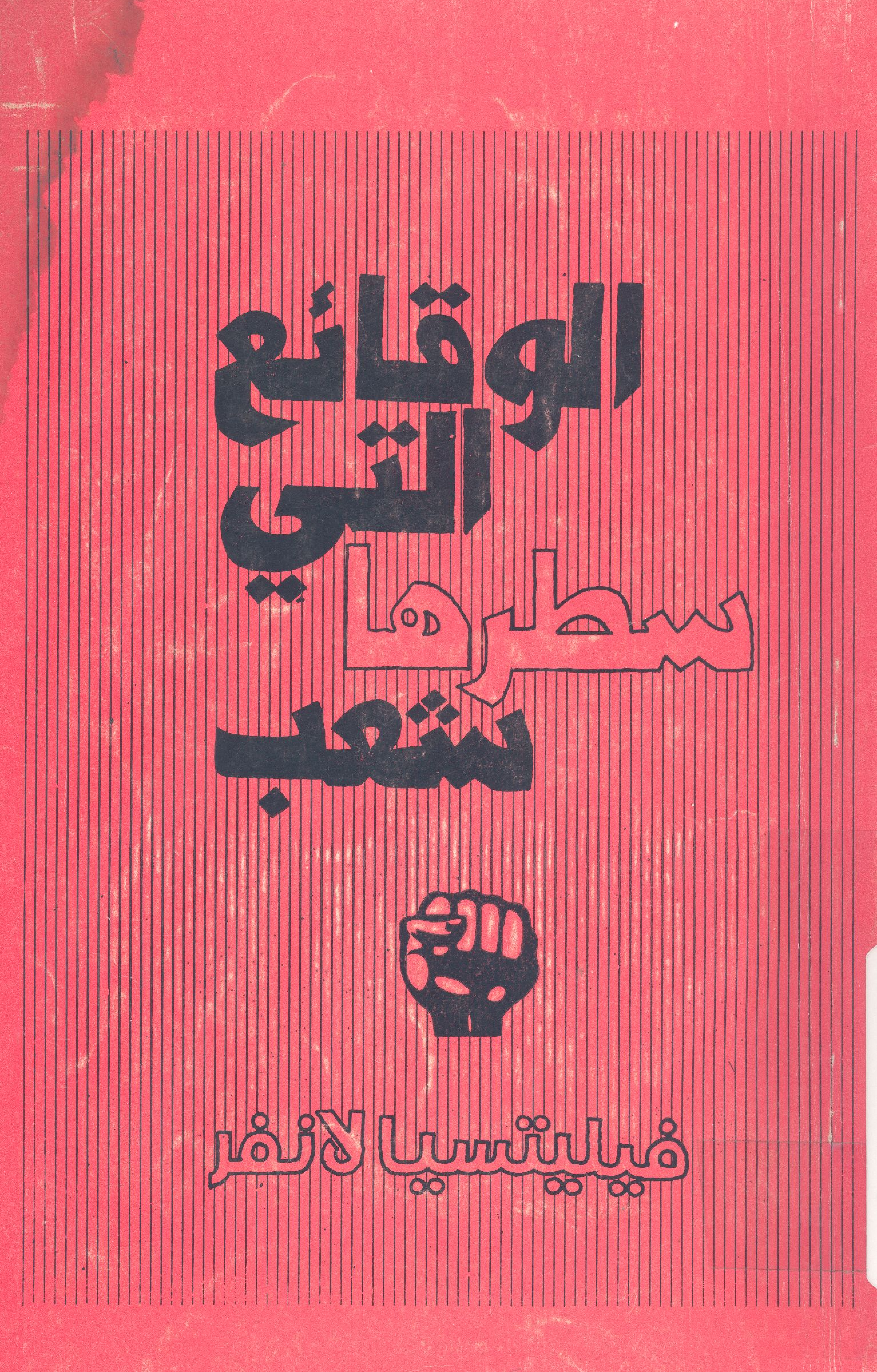


الوقائع التي سطرها شعب
فيليتسيا لانغر

فيليتسيا لانغر

الوقائع،

التي سطرها شعب

منشـــــورات

وكالــة أبو عرفــه للصحافة والنشــر

القـــــدس

الغــلاف : سليمان منصــور

فيلينسيا لانغر

الوقائع

التي سطرها شعب

سجل أمين وحافل لمحاولة ابعاد
رئيس بلدية نابلس
بسام الشكعة

ترجمة :
وكالة أبو عرفه

تموز — ١٩٨٠

פרשת
בסאם אלשקעה

הסיפור שהעם כתבו

מאת: פליציה לנג'ר

STORY WRITTEN
BY THE PEOPLE

FELICIA LANGER

مقدمة بقلم

بسام الشكعة

عندما طلب الي أن أكتب مقدمة للكتاب الذي تنوي ألاخت فيليتسيا اصداره عن قضيتي ، شعرت لاول وهلة بالحرج اذ تساءلت هل من الطبيعي ان يقدم الانسان نفسه ؟ ولكن سرعان ما زال الحرج في الجواب العفوي والواقعي الكامن في وعيي وشعوري ووهو انني كنت جزءا من قضية ولم يكن موقفي او تصرفاتي الا جزءا من موقف شعب امتدت ابعاده لارجاء المعمورة ، منطلقة من الجذور الوطنية والقومية وألانسانية لهذا الشعب ، حيث اتصلت بالحقائق الكامنة في التكوين الانساني للمجتمع الاسرائيلي .

ومن هنا برزت الميزة السياسية الهامة لقضيتي ، كما برز دور الاخت الانسانة فيليتسيا ، التي تفاعلت منذ اللحظات الاولى مع القضية بفهم عميق لها ولابعادها فاستندت الى القانون لدعم الواقع السياسي ، ونتيجة لذلك كانت فضيحة الحكم العسكري وسياسة الحكومة الاسرائيلية ، فاقترن دور فيليتسيا المحامية بفيليتسيا الانسانة فكانت موقفا وعطاء بمستوى القضية والانتصار .

لقد كانت فيليتسيا فيدورها هذا منجزة شعبها ونموذجا رائعا للانسان ، وهذا ما جعلها اكبر من كل الانتقادات والتحديات المباشرة وغير المباشرة التي واجهتها .

لقد عجز قرار الاعتقال والابعاد ان يبرر نفسه سياسيا

واخلاقيا وقانونيا امام الرأي العام الاسرائيلي وفقـد القدرة على الـدفاع عن نفسـه .

لقد اعطى شعبنا موقفة العمق الوطني والبعد الانسانـي بوحدته الوطنية ونضاله القوي والصلب ضد القرار وكـان لاستجابة الشعب بالنضال الوطني الاثر الكبير والفعال فـي تحقيق الانتصار . وللحقيقة والتاريخ فان الموقـف العربـي الرسمي لم يكن بمستوى الاستجابة العالمية وهذا ما يؤكـد ضعف الحلقة العربية وعدم قدرتها على تحقيق الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ولقضية السلام العادل في المنطقة.

لقد استكملت القضية كل شروط انتصارها وقمت بدوري كعربي فلسطيني وانسان ، وكذلك قامت زوجتي وعائلتـي بالتزام كامل لدورهم في جميع حلقات القضية . ومن اقـوى العوامل الضاغطة موقف اخواني اعضاء المجلـس البلـدي واهل المدينة ورد فعلهم السريع والعالي في تجاوبه ، وكذلك اخواني رؤساء البلديات والمجالس القروية الذين اعطـوا الوحدة الوطنية عمقها وتأثيرها الكبير باستقالتهم الجماعيـة ولا بـد من تسجيل الموقف البـارز لموظفي البلدية فـي هـذا المجـال .

كمـا قامت لجنـة التوجيه الوطنـي بدورهـا كامـلا كل هذه العوامل الضاغطة اضطرت الحكومة الاسرائيليـة للتراجع عن قرارها .

وقد توجت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك كله بتحركها القيادي الرائـد وعلى كل المستويات مما عـزز تحقيق الانتصـار .

اعود لاختم مقدمتي هذه فاقول تحققت كل شروط الانتصار فتحية الى كل الذين ساهموا فيه فقد كان انتصار للمواطنين وللشعب وللانسان وان كان هنالـك من مجـال لتسجيـل البطولات ففيليتسيا استحقتها .

بسـام الشكعة

فيليتسيا .. لن تبقى ظاهرة !

... منذ « بأم عيني » ، « أولائك اخواني » ، « من مفكرتي » وحتى هذا الكتاب الوثائقي ، استطاعت فيليتسيا لانغر ، هذه المحامية التي تقف في طليعة القوى الديمقراطية اليهودية المتضامنة مع قضية شعبنا الفلسطيني العادلة ان تحظى بمكانة خاصة في ضمير وذاكرة الشعب الذي لا يزال يعاني من سياسة الدمار والحروب التي يمارسها حكام الدولة التي تعيش فيها ، اسرائيل ، منذ اكثر من ثلاثين عاما هي عمر النكبة واكثر .

ذلك أن قارىء هذه الكتب الوثائقية يدرك كم هو عظيم هذا الدور الذي تؤديه فيليتسيا ، سواء من خلال عملها كمحامية او من خلال مشاركتها في مؤتمرات محلية ودولية لنصرة قضيتنا ، عدا عن مواقفها التقدمية التي لا تتأخر لحظة في اعلانها ، الداعية الى انهاء الاحتلال والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير .

الوقائع التي سطرها شعب ، سجل امين يحكي قصة اعتقال رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة في اواخر العام الماضي رغم المحاذير القانونية التي حالت دون نشر المزيد من التفاصيل حول الموضوع .

مع ذلك فأن ما يثلج صدورنا ان فيليتسيا لم تعد ظاهرة

في المجتمع الاسرائيلي .. وواجبنا ، كل واجبنا ، أن نعمل على تبني هذه « الظاهرة » ايمانا منا بأن اهمية كبرى لقضية السلام العادل تكمن وراء ذلك .

الناشر

المقدمة

اسمتها الصحافة « قضية الشكعة » . وكان هناك من دعاها « سلسلة من الاخطاء » التي استمرت ما يقارب الشهر . احد الاشهر الطويلة والصعبة بالنسبة للكل .

كان هذا شهرا دوى فيه صوت الشعب من خلال هدوء مدنه المضربة ضد الظلم والغبن ، بأرادة صخرية .

كان هذا شهرا اعلن فيه جميع رؤساء البلديات المنتخبون « كلنا بسام الشكعة » واستجاب لهم الشعب كالصدى .

كان هذا شهرا ردد العالم فيه صدى صوت الشعب المضطهد من خلال أحد أبنائه ، وحظي باستجابة كل جماهير الانسانية اينما كانوا .

كان هذا شهرا خرج فيه العديد من ابناء شعبي ضد الغبن المتمثل بالطرد — طرد انسان من وطنه . وهم الذين شجعوني ، وبهم أفتخر .

كان هذا شهرا حاربت فيه امرأة باسم عناية الشكعة من اجل زوجها ، كفلسطينية ، كمواطنة من نابلس ، ولم تؤمن ولو للحظة بأنه سيطرد ، او ان الكذب سينتصر .

كان هذا شهرا احتجز فيه في سجن الرملة انسان في ركن معزول لابعاده عن كل شيء ، وكان رغم ذلك قريبا من الكل ورددت اسمه ملايين الشفاه .

صام ، وتغـذى حـب البشرية التي اخترقـت القضبان مستمدا شجاعته منها ، واصراره على عدم الخنوع .

ان يدي عاجزة عن اعادة وقائع هذا الشهر بكل عظمتـه باخلاص . وعذري الى أولئك الذين نظلمهم في دورهم أو في الاقلال من وصف هذا الدور بسبب الحظر الذي يقيد يدي ولكن كل الصفحات بيد الشعب وله ايضا جزيل شكري .

فيليتسيا لانغر

لا اذكر متى عرفت بسام الشكعة لاول مرة . عندما رأيته ذات يوم ، سوية مع بقية اعضاء مجلس بلدية نابلس ، خيل الي انني اعرفه سابقـــا .

كان ذلك في يوم مكثف بعد زيارتي لسجن نابلس . كان من قابلته هذه المرة المعتقل نادر العفوري ، ابن نابلس . نادر، الذي فقد حواسه بعد اعتقاله قبل ما يقارب السنتين كـــان معافى قبل اعتقاله مثلما عرفته قبل ذلك . ومع مرور الزمن تحطم كلية وفقد أية صلة بالواقع الذي يحيط بـ ه. لم يكن بالامكان تقديمه للمحاكمة في وضع كهذا بسبب شك السلطات بانتمائه الـــى منظمـــة غير قانونية لذلك استصدر ضـــده امر بالاعتقال الاداري ، الذي كان بطبيعته اعتقالا وقائيـــا فرض على انسان غير متزن فاقد الحواس . ولكن في نفســ الزيارة حدث ما وه أكثر من ذلك . لقـــد أحضر الي وعلى وجهه وجبينه آثار اخماد السجائر التي لا تزال طرية . لم يتحدث الي بل انشغل بمص شفتيه ، كالعادة ، وحمل معـــه سر هذه الحقيقة المحفورة على وجهه . ثار غضبي الى درجة الغليان . اصدقاؤه قالوا لي انه اعيد على هذه الحالة مـــن مستشفى سجن الرملة قبل فترة قصيرة . سلطات السجـــن تجاهلت توجهي لها ، قررت الذهاب الى بلدية نابلس ، ذلك ان من فيها منتخبو الشعب ولكنه في حالات جماهيرية قـــد يكون من المفضل ان يحاول احدهم التوجه للحاكم العسكري لمساعدة المعتقل المسكين الذي يعاني اشد أنواع العـــذاب على بعد عدة مئات من الامتار منهم . بسام كان في مكتبـــه . تحدثت اليه والى اعضاء المجلس البلدي واحسست بان الم نادر كان المهم وانهم سيحاولون مساعدتـــه . بهـــذه الروح اجانبي بسام الشكعة .

لم نستطع التكهن ، آنذاك بأن اسم نادر سيظهر مـــرة

اخرى ، بعد شهرين من ذلك ، فيما يتعلق بحادثة مصيرية اخرى .

لقاؤنا الثاني تم في صيف ١٩٧٩ بخصوص المحاكمة التي هددت السلطات بأجرائها ضد بسام الشكعة واعضاء المجلس البلدي في نابلس بتهمة « الجرم الخطير » بالمشاركة بمظاهرة احتجاجية ضد الاستيطان على اراضي قرية روجيب واقامة مستوطنة « الون موريه » التي ارتبطت هي الاخرى بعد ذلك بنفس الشهر الطويل . جلسنا آنذاك في غرفة بسام بحضور اعضاء المجلس البلدي وعدد من الشبان والشابات الذين شاركوا هم ايضا بالمظاهرة واتهموا من قبل الشرطة وبينهم ابنته هناء .

الكل تساءل : كيف يمكن منع الاحتجاج بهدوء ضد الجرم الناجم عن نهب الارض . الكل امتدح التضامن الذي ابداه الاسرائيليون الذين قدموا للتظاهر الى « الون موريه » . الكل ، برئاسة بسام فوضني في هذه القضية ، وابلغتهم انني سأفعل كل شيء لمنع اجرائها (المحاكمة) ـ الامر الذي نجحت فيه فيما بعد .

في هذه الحالة ، وبينما كان بسام يوقع على التوكيل قال لي مازحا «انني اوقع لك على تفويض مفتوح ـ لكل حادث» وافقت ، وعندما افترقنا قلت له « آمل الا تحتاجني » .

بعد ذلك طلب مني أصدقائي في الولايات المتحدة أن أنقل اليه دعوة الى مؤتمر حول حقوق الانسان الفلسطيني والسلام العادل الذي كان سيعقد في واشنطن ، بالاشتراك مع رئيس بلدية رام‌الله كريم خلف ورئيس بلدية الخليل فهد القواسمي . وقد دعيت انا ايضا الى نفس المؤتمر . لم يسمح لبسام آنذاك بالسفر الى امريكا . قبل سفري افترقنا تلفونيا ، ونقل تحياته للذين دعوه ، واسفه على عدم مقدرته

على الاشتراك معنا في هذا المؤتمر .

في واشنطن احتج عدد من الشخصيات المحاربين من اجل حقوق الانسان على المساس بحقوق رئيس البلدية بسام الشكعة ، في مغادرة بلاده والحضور الى الولايات المتحدة واسماع صوته والاعراب عن رأيه في قضية حقوق شعبه . وانضم اليهم زملاؤه رؤساء البلديات الذين حضروا .

لم نعرف آنذاك ماذا يخفي في داخله المستقبل ، وان نفس الاشخاص الذين تعرفوا على اسمه سيحتاجهم في المستقبل.

التحريض

عنوان بهذه اللهجة تصدر الخبر الذي احتل مركز الصفحة الاولى فيجريدة هآرتس منذ السابع من نوفمبر ١٩٧٩ :
((رئيس بلدية نابلس ، بسام الشكعة : انا متضامن كلية مع مقتل ٥ ركاب الباص في شارع الشاطىء .))

فيما يلي نص الخبر : بقلم المحرر العسكري لصحيفة هآرتس : ((اعرب ضباط في الحكم العسكري أمس عن غضبهم لسماع تصريح رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة الذي قال للجنرال داني ماط منسق النشاطات في المناطق انه يتضامن بشكل تام مع مقتل ركاب الباص في شارع الشاطيء وانه طالما ان المشكلة الفلسطينية بدون حل ستظل اعمال كهذه عادلة ومفيدة تبرر نفسها .

« توجهت الى الجنرال ماط وطلبت رده على التصريح المتطرف لرئيس بلدية نابلس . الجنرال ماط قال : الكل سيحفظ وتتم دراسته عندما يحين الوقت لذلك .

« يتبين أن المحادثة التي أعلن فيها بسام الشكعة تأييده

لذبح الاطفال والنساء جرت في بيت الحاكم العسكري ، حيث استدعي للقاء الجنرال هناك . كان موضوع المحادثة رفض بلدية نابلس السماح لسكان المدينة بالتزود بالمياه من بئر حفرها الحكم العسكري على الرغم من نقص المياه في المدينة.

« خلال المحادثة اشتكى الشكعة بأن سلطات السجن تقوم بتعذيب الفلسطينين في السجون. الجنرال ماط سأل الشكعة عن رأيه في ذبح ركاب الباص والقاء الاطفال للنار ، فقال الشكعة : ان يحرق طفل فأنه امر مبالغ فيه ولكن العمل نفسه كان سليما . وقال انه يتضامن بصورة تامة مع اعمال كهذه عادلة طالما ان المشكلة الفلسطينية بدون حل . « طالما ان الاحتلال والقتل موجود عليكم توقع اعمال كهذه . » قال الشكعة .

« على ذلك رد الجنرال ماط أن كون الشكعة يستطيع ان يقول اقوالا كهذه وان يجلس سوية معه حول طاولة واحدة انما يشهد الى أي مدى اسرائيل دولة ديمقراطية . »

« اقوال الشكعة تسجلت من قبل بعض الحضور » .

خلال اليوم سمعت نفس الكلمات تتردد . حتى ان بعضهم طلب نشر محتواها . وكمن يعرف بسام شعرت ان رائحة التحريض تطل من الخبر ولكن لم اتوقع حجمها او ابعادها .

في مساء ذلك اليوم بحثت الكنيست الموضوع والقي الموضوع فيفضاء القاعة كقنبلة في اثناء البحث وبيان الحكومة حول ضم وزير وادخال تعديلات في تقسيم الوظائف بين اعضاء احكومة . الامر يظهر في بروتوكول نفس الجلسة .

موشيه شمير (حلف امناء ارض اسرائيل) : اقترح قبل كل شيء ان يتم بحث تصريحات رئيس بلدية نابلس وتحويل الامر الى رد من رئيس الحكومة على اعلان القتل والتحريض

الذين ادلى به رئيس بلدية نابلس . لا يتمكن للكنيست الا ان تبحث في هذا الموضوع اولا . انه اعلان يدعو الى قتلنا كلنا. يجب على رئيس الحكومة ان يبدا بجملة واحدة هذا الموضوع وابداء رأيه باعلان رئيس بلدية نابلس الداعي الى التضامن مع قتلة الاولاد في الباص في شارع الشاطيء . يجب ان يكون هذا الموضوع الاول . لا يمكن ان نتجــاوز هــذا من جدول اعمالنا .

صوت : يكفي صراخا .

الرئيس ، ب . هليفي : ، سيدي رئيس الحكومة .

رئيس الحكومة مناحيم بيغن : سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست ، لقد اتخذت الحكومة في جلستها هذا الصباح القرارات التالية : ١ ـــ حسب البنود ١٧ (أ) و ٥ (د) لقانون التأسيس : قررت الحكومة تعيين الوزيـــر سمحا ارليخ نائبا لرئيس الحكومة بدلا من وزير المالية .

موشيه شمير : اقارب المقتولــين في شــارع الشاطـــيء يريدون معرفة ماذا تقول الكنيست . انهم ينتظرون كلمة في الكنيست من رئيس الحكومـــة . كلمة واحـــدة من رئيســـ الحكومة . انه اعلان رهيب .

الرئيس ، ب . لهيفي : عضو الكنيست شمير ، انني ادعوك للانضباط .

غيئولا كوهين (حلف أمناء أرض اسرائيل) : .... تحريض على القتل . حكومة اسرائيل تشجع هذا . الحكـــم العسكري يشجع هذا .. هذه الحكومة تشجع وقاحتهـــم . والون موريه يريدون اخلاءها . انه امر ليس امنيا ... لـــم يعد كذلك . لا تتخفى وراء أمر محكمة . انت تتخفـــى وراء ذلـــــك .

شمعون بيرس : (المعراخ) : ..... ثالثا ، ان الخطورة في وضع اسرائيل والمناطق . فعلا ما قاله بسام الشكعة امر خطير لا مثيل له وكان ذلك يتطلب ردا حكوميا فوريا . يستطيع أن يكون مع م.ت.ف أو ضد م.ت.ف. كما يريد .. ولكن ، ان يقر بقتل اليهود في الباص ؟ رئيس بلدية ؟ ولا رد للحكومة ؟ لا رد لوزير الدفاع ؟ ماذا يحدث هنا ؟ متى حدث مثل هذا ؟ .

غيئولا كوهين : انهم مذنبون بذلك .

شمعون بيرس : غيئولا ، لا تضايقيني . متى كان امر كهذا ؟ لقد اعتقدت ان كل هذا البيت يقف وراء امر واحد على الاقل : قتل النساء والاولاد في باص كأسلوب سياسي ؟ الحكومة منشغلة باعادة التنظيم ولا رد لديها ؟ ماذا يحدث هنا ؟ متى حدث امر كهذا ؟ باستمرار يزداد تجاهل موقف سكان المناطق منا ؟

يتسحاك يتسحاكي (الليكود) : من الذي اعطى بسام الشكعة ان يكون رئيس بلدية ؟

شمعون بيرس : السكان انتخبوه . ولكن عند ... ولكن اسمح لي .. قبل كل شيء مباركة عودتك لليكود بعد ان رتبوا لك المصاريف ... كم بلغ ذلك ، ٦٠٪ ؟ ...

يتسحاك يتسحاكي : هذا لا يتعلق بالسؤال .

شمعون بيرس : لا . غير مهم . انا اباركك ، لانك ايضا قطعت الشوط . انا لا اذكر ان رئيس بلدية كان تحدث بهذه اللهجة ؟

اوري افنيري (معسكر شيلي) : سيدي الرئيس ، الكنيست المحترمة . روما تشتعل ونيرون قيصر يلحن ...

الدولة تشتعل والحكومة مشغولة بألعاب استعراضية . الخراب ينتشر ويزداد في كل قطاعات الحياة ، وانا ممسك بقرني الثور واتحدث عن الموضوع المركزي الذي يثيرنا كلنا اليوم .

بالامس صرح رئيس بلدية نابلس السيد بسام الشكعة او رد على سؤال للجنرال داني ماط ، وانا اريد ان استبق القول واقول انني ادين الاعمال الاجرامية ضد النساء والاطفال غير المحاربين واسرى من اي نوع كان . سواء كانت تتم على ايدي منظمات فلسطينية او مجرمي حرب اسرائليين او ضاربي قنابل قاصفين . لا كفارة ، لا كفارة لاي عمل اجرامي ، وانا اتحفظ من اقوال رئيس بلدية نابلس ...بعد ان سمعت اقوال وزير الدفاع هذا الصباح .....

حاييم كوفمان (الليكود) : انت فقط تتحفظ ... انت لا تحتج ، كما لو كنت قسما منهم . انه لا يحتج ، انه يدين ، انه لا يندد ، انه فقط متحفظ .

اوري افنيري : طلبت هذا الصباح ، بسبب خطورة الاقوال ، ان احصل من رئيس بلدية نابلس على النص الكامل لاقواله وهذه هي :

ايهود اولمرط (الليكود) : انظروا الناطق بلسان م.ت.ف في الكنيست . امر مذهل حقا . الناطق بلسان بلدية نابلس في الكنيست .

اوري افنيري : الاقوال خطيرة وتستحق كل ادانة ، وهذه هي : « ردا على اسئلة الجنرال ماط فيما يتعلق باعمال الفدائيين قلت ان استمرار الاحتلال والاعمال الاسرائيلية في المناطق المحتلة وجنوب لبنان تؤدي الى رد يأخذ شكل العمليات الفدائية . انا لا اعتقد ان هذه العمليات تنتهي طالما ان الاحتلال مستمر . بالنسبة لعملية الشاطىء قلت ان هذه

العملية جرت ردا على ما تنفذه سلطات اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني داخل المناطق وخارجها ، وقلت هذه العملية عادية » .

انا اريد ان اقول من على هذا المنبر - كمن يعتبر نفسه صديق السلام بين اسرائيل والشعب الفلسطيني : ان هذه الاقوال تستحق الادانة بأي شكل كان . نحن نطالب كل قائد فلسطيني ان يدين ويتحفظ من عمليات كهذه التي نفذت في شارع الشاطيء ..

انا الفت انتباهكم الى ان ما حصلتم عليه بعد كامب ديفيد هو عكس ما اردتم الحصول عليه . ومن يغمض عينيه عن هذه الظاهرة لا يفهم ما يدور اليوم حوله . كان الهدف ، بقدر المستطاع، تنمية قيادة معتدلة ومسؤولة في المناطق المدارة قيادة تحل مكان م.ت.ف. وما حدث انه في المناطق المدارة قامت قيادة اكثر تطرفا من م.ت.ف. وانا اقول اليوم بكامل الوعي وكمن لا يعتبر جاهلا في هذا الامر : انا على ثقة بأنه يمكن أن نصل اليوم الى اتفاق مع قيادة م.ت.ف. على اساس مبدا الاعتراف المتبادل . هذا اسهل من اي اتفاق مع القيادة في المناطق المدارة .. لذلك فانني اقترح عدم الاستهتار بالاقوال التي وجد بسام الشكعة .. من الصواب قولها ، وهو ممثل من الدرجة الاولى ، وقد يكون ارفع ممثل وأكثرهم مخولا لذلك في المناطق المحتلة . يجب ألا نتجاهل اعلانه . انا اعتقد ان بسام الشكعة اليوم هو الناطق الاول، الاعلى، رقم ١ في المناطق المدارة وهو مقبول على هذا الاساس لدى كل سكان المناطق المدارة . لا تستهتروا بهذا البيان . فكروا بابعاده .

وزير الدفاع ع . فايتسمان : سيدي الرئيس ، الكنيست المحترمة . انا أتعامل مع ملاحظات أعضاء الكنيست هنا

غيئولا كوهين ، موشيه شمير وشمعون بيرس بصدق ، فيما يتعلق بما نشر اليوم في جريدة هآرتس عن اقوال رئيس بلدية الخليل الى ضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي . انا ملزم بالقول بأنه للمرة الاولى سمعت عن ذلك من القراءة بالصحف هذا الصباح . حصلت على تقرير فوري من الجنرال مساط الذي هو في طريقه الي . لذلك ومثل كل عضو كنيست آخر قرات ذلك هذا الصباح ونحن الان بصدد فحص ما قيل . وكيف قيل وهكذا . وليكن ما كتب في الجريدة مثلما هو ، فاننا سنتخذ اجراءات ضد رئيس بلدية نابلس على اقواله .

مع ذلك انا ملزم ....

موشيه شمير : من المفضل ان تغير رايك في الون موريه .

وزير الدفاع ع . فايتسمان : اود ان اشير الى اقوال عضو الكنيست شمعون بيرس عن تدهور الاوضاع في المناطق . أنا أرفض ذل ك .لا شك بأن هناك ارتفاعا وانخفاضا . خلال ١٢ سنة ونصف شاهدنا أوضاعا أسوأ من هذه واصعب وأكثر تعقيدا وبأمن مريض أكثر . كانت أياما افضل ايضا . وبالرغم مما قيل فانني اعتقد ان الوضع معقول وان كان بالتأكيد من الممكن ان يصبح افضل .

انني اكرر اقوالي انه ستتخذ اجراءات ضد رئيس بلدية نابلس .

توفيق طوبي (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) : كل هذا بهدف صرف الانظار عما تفعلونه في لبنان وعما تفعلونه يوميا ضد المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين لبنان ، ضد قتل الاولاد والنساء في مخيمات اللاجئين . الكل بهدف صرف الانظار عن جرائمكم ... عن استمرار الاحتلال .....

وزير الدفاع ع . وايزمان : عضو الكنيست طوبي ، لبنان هادئة .

توفيق طوبي : انتم تخلدون الاحتلال والمس بحقوق الشعب الفلسطيني . هذا هو مصدر الاخطار والمصائب .

وزير الدفاع ع . وايزمان : لقد سمعتك .

الاجراءات ستتخذ . انا ملزم بالقول تعالوا نغير الاتجاه ، ونبدا بالتفكير اولا وبتوازن متزايد لايجاد طريق مشتركة للحياة مع العرب في أرض اسرائيل ولن نكون ملتهبين. مع ذلك سنتخذ اجراءات ضد رئيس بلدية نابلس .

* * *

بدات خيوط المؤامرة تكتمل

في ساعات المساء المتأخرة اتصل بي عوزي بوريشتاين وسألني اذا كنت يقظة على المكيدة التي تحاك ضد بسام . لقد اراد ان يعرب له عن تضامنه وهو ايضا عرف ان هذا هذا تحريض. عوزي لم يستطع التحدث الى بسام لانه لا يعرف العربية وبسام لا يعرف الانجليزية . اتصلت بنابلس وتحدثت الى بسام . لقد اكد لي انهم يقومون بحملة تحريض ضده وانهم زوروا اقواله والان يقومون بحملة تحريض ضده . اعربت له عن مشاعر التضامن التي ابداها عوزي وانا . قررنا التحدث في صباح اليوم التالي .

عناوين الصحف لم تكن مشجعة جدا ، خاصة في ذلك الصباح . نفس المراسل العسكري كتب في هآرتس : احتمال طرد بسام الشكعة من نابلس بتهم التحريض على القتل الى احدى الدول العربية ــ هذا هو أحد الاحتمالات الممكنة بعد

ان اعرب عن تضامنه مع ذبح المواطنين نساء واطفالا في باص الدماء في شارع الشاطىء . في الماضي كان نهجا كهذا في حالات أقل خطورة . »

اتصلت ببسام واطلعته على ما نشرته الصحافة وكان مقتنعا في السابق بأنه ادين، اما الان فانهم يبحثون في العقاب الذي يجب فرضه عليه . قلت له ان المراسلين العسكريين على اختلافهم يكونون احيانا بوق السلطة .

« كيف تستطيعين مساعدتي ، فيليتسيا ، من الناحية القضائية ؟ » سألني بسام . ونظرا لاعتقادي بأن الطرد هو أحد الامكانيات في حالتنا هذه ، وحسب فهمي فأن خطرا من هذا النوع ملموس جدا — يمكن أن نستعد للدفاع بالتوجه فقط الى المحكمة العليا . السرعة هي التي ستقرر . اكدت له ذلك. بسام أبلغني بأنه يترك لي كل شيء ، ولكنه مشغول في الصباح وبعد الظهر . وانا ايضا كنت ملزمة بالظهور امام المحكمة العسكرية في اللد . اتفقنا ان الالتماس لمنع الطرد سيقدم باسم زوجته عناية . واتفقنا على ان تجيء الي الى المحكمة العسكرية في اللد ومن هناك نسافر الى القدس . كنت راضية في داخلي على ان بسام لن يجيء الي وذلك لانني تخوفت بانهم يستطيعون اعتقاله في الطريق ويحبطون بذلك كل شيء .

واستطعت ان احصل في التلفون على النص الكامل للمقابلة مع بسام الشكعة كما نشرتها عل همشمار في الصباح دلك اليوم بقلم الدكتور امنون كابليوك .

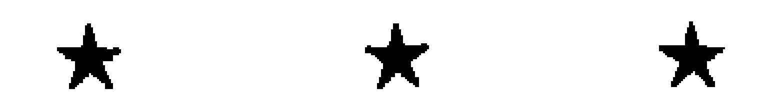
كان ذلك خدمة غير عادية للحقيقة قام بها هذا الرجل لان أقوال بسام كما نشرتها «عل همشمار» شهدت بأن ما كتب في « هآرتس » هو تزوير وانه ليس صحيحا ان بسام يؤيد او يتضامن مع قتل النساء والاولاد او الابرياء بشكل عام .

وخلال فترات الاستراحة لدى ظهوري في اللد زادت مخاوفي لئلا نتأخر في الموعد او من فشل غير متوقع وهامشي يحبط خططنا . في الساعة الحادية عشرة تقريبا أبلغوني من الخارج ان احدا ينتظرني . فهمت ان عناية وصلت . تخلصت من المحكمة قبل اوانها باعلاني ان علي تقديم التماس مستعجل للمحكمة العليا . امتنعت عن القول باسم من سيكون الالتماس .

كان هذا لقائي الاول بعناية . عيناها الزرقاوان والحكيمتان نظرتا الي بأمل . نظرات كهذه تثقل كاهلي بمسؤولية كبيرة ، يخيل الي احيانا انني اتهاوى تحتها .

★ ★ ★

نص الالتماس
للمحكمة العليا



الالتماس بدأت كتابته في السيارة التي نقلتنا للقدس بينما كانت عناية تزودني بالتفاصيل وتقدم لي الملاحظات . علمت انني اذا تمكنت من تقديم الالتماس قبل الساعة الواحدة قبل الظهر فقد انجح في الحصول على امر احترازي يمنع الطرد قبل ان ينهي الموظفون عملهم . كان المهم ان يتم طبع الالتماس وتقديمه فورا للنيابة لوقف اجراءات الطرد . واذا تأخرت فقد يحدث مع بسام ما حدث مع الكثيرين من قبله . عند وصولنا مشارق القدس كان النص جاهزا :

المستدعون : عناية الشكعة باسم زوجها بسام احمد شكعة من نابلس بواسطة المحامية فيليتسيا لانغر من شارع كورش ١٤ القدس .

ضـــد
الالتماس :

الالتماس

بهذا الالتماس نطلب استصدار امر احترازي ضد وزير الدفاع يطلب منه تقديم تبريراته حول اسباب عدم امتناعه عن طرد زوج المستدعية السيد بسام أحمد الشكعة رئيس بلدية نابلس خارج حدود دولة اسرائيل و / او المكان المدار من قبلها وان مصروفات الطلب تقع على عاتق الوزير.

وهذه هي مبررات الالتماس :

١ ــ زوج المستدعية (من الان فصاعدا « الزوج ») رئيس بلدية نابلس . وقد انتخب لهذا الغرض في انتخابات عامة في شهر ابريل ١٩٧٦ ومنذ ذلك الحين وهو يشغل هذا المنصب ويخدم ابناء بلده .

٢ ــ بتاريخ ١٩٧٩/١١/٧ نشرت جريدة هآرتس ووسائل اعلام اخرى ان المذكور اعرب عن تضامنه بقدر المستطاع مع العملية التخريبية في شارع الشاطيء ومع منفذيها وذلك خلال لقائه مع منسق النشاطات في المناطق الجنرال داني ماط .

٣ ــ ونتيجة لهذا النشر بدات حملة تحريض ضد زوج المستدعية الى حد الطلب بالانتقام منه بوسائل عقاب مثل اقالته من رئاسة البلدية وحتى طرده من البلاد .

٤ ــ علمت المستدعية وزوجها ان الاوساط العاملة في مجال سلطة وزير الدفاع تبحث في الخطوات التي يجب اتخاذها ضد زوجها عندما نجد ان الطرد احدى هذه الخطوات في حالة استحسانه .

٥ ــ بالنسبة للنشر تدعي المستدعية بأسم زوجها وتبدي رأيها كما يلي :

أ ــ لقد التقى زوجها حسب طلب الجنرال داني مـــاط في يوم الاثنين من هذا الاسبوع وذلك لبحث موضوعات مدينتـــه كما تلزمه وظيفته .

ب ــ لقد تم تزوير الاقوال المنسوبة لزوجها واخرجت من سياقها العام مع سبق الاصرار ، لعزله عن منصبه او اكثر من ذلك .

ج ــ تدعي المستدعية وزوجها ان هذه العملية جزء مـــن حملة مخططة ضد رؤساء البلديات الوطنيـــين المعارضـــين لمشروع الادارة الذاتية .

د ــ المستدعية تعلن ان زوجها اعرب خلال محادثة عـــن رأيه باسباب وجذور مقاومة الاحتلال ، الذي هو الاحتـــلال نفسه ، عندما اعرب عن تفهمه لدوافع منفذي عملية الشاطيء وليس تضامنا معهم . هذه الاقوال كانت جزءا من محاضـــرة شاملة حول اوضاع السجناء العرب في السجون في المناطق وفي اسرائيل والقصف الاسرائيلي للمواطنين في جنوب لبنـــان وغير ذلك .

هـ ــ المحادثة كانت حرة وجرت من خلال تبادل الاقـــوال حول موضوعات مختلفة ، وهو حق جذري لكل انسان دون ان يكون معرضا بسبب ذلك لحملة شعواء ضده .

٦ ــ المستدعية تدعي باسمها وباسم زوجها وذلك حسب ما هو متوفر لديها ان هناك خطرا حقيقيا ومحسوسا من طرد زوجها من وطنه وان الامر قد يحدث كل لحظة .

٧ ــ المستدعية تدعي ان عملية الطرد مخالفة للقوانـــين الدولية كما نصت على ذلك وثيقة جنيف الرابعة وانه مساس بحقوق الانسان الاساسية التي اكتسبت صبغتها في بيـــــان عالمي للامم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ .

٨ – ولكي لا يتم احباط هدف الالتماس تطلب المستدعية باسمها وباسم زوجها اصدار امر احترازي ضد وزير الدفاع يمنعه من طرد المستدعي خارج اسرائيل و / او خارج المنطقة الموجودة لديها حتى اعطاء قرار آخر في الالتماس .

المحكمة مدعومة لاصدار الامر الاحترازي كما نص على ذلك الطلب وجعله قرارا والزام وزير الدفاع بالمصاريف للمحكمة وللمحامية .

التوقيع

فيليتسيا لانغر

موكلة المستدعية

في القدس بدأ السباق مع الزمن . حث الطابعة من سكرتارية المحكمة العليا ابلغونا ان الالتماس سيقبل حتى الساعة الواحدة . واذا تم تقديمها بعد ذلك فانها ستقترن بالتأجيلات التي لا شك بأن نتائجها لن تكون في صالحنا . اذن ، ٣ دقائق قبل الساعة الواحدة بالضبط وصل السكرتير الشاب سلمان الى المحكمة واستطاع تقديم الالتماس في الوقت المحدد . كان لا بد لاحد قضاة المحكمة التفرغ لبحث الالتماس ، او نقله امام ثلاثة قضاة .

خلال ذلك الوقت جلست عناية في مكتبي وانتظرت . لم يكن من الصعب التكهن بأفكارها ، لاننا نحن ايضا كنا مشعبين بالتوتر والانتظار .

فكرت بالاتصال بالسيد غيللون أحد القضاة بعد ٢٠ دقيقة. فكرت بالماضي ، بالمعارك الحقيقية ضد الطرد – طرد الالاف الذين نفذ ذلك بحقهم في ساعات الليل المظلمة دون حق بالظهور امام اللجنة العسكرية للاستئناف وفق قوانين الدفاع .

تذكرت بذلك اليوم الذي لم أجد فيه سليمان النجاب في السجن – الرملة عندما استطعت ان احصل على امر احترازي يمنع طرده وزوجته ليلى ، فقد كان في لبنان آنذاك بعد ذلك بدأنا نتخوف من ان نفس المصير ينتظر عشرات المعتقلين الاداريين مثله . قدمت طلبا باسم كل المعتقلين (العشرات) لمنع طردهم ، وفقط بعد أن أبرزت قوانين الدفاع أمام القضاة بأصلها التي تمنح حق الاستئناف على أوامر الطرد أمام اللجنة الاستشارية صدر أمر بضرورة التصرف هكذا في المستقبل .

وفعلا بدأوا يتصرفون هكذا ولكن اللجان كانت تقر الطرد دون ان يستطيع المطرود الوقوف على ما تنسب له السلطات. اللجنة ، نظرا لعادتها واسلوبها لم تكن اكثر من ختم بلاستيك في نظر المرشح للطرد ، تصدق على قرار السلطات العسكرية . تذكرت ايضا بذلك السبت عام ١٩٧٦ عندما سافرت بصورة مذهلة للقدس لمنع طرد الدكتور احمد حمزة النتشة، وآنذاك اعددت الالتماس في السيارة . التقيت مع لوئي غاط ، زوجته ، التي اخبرتني باعتقاله . قدمت الالتماس ، وكل شيء اشار الى ان الامر الاحترازي ضد الطرد سيعطى في الساعة الرابعة بعد الظهر . لم يطرد احمد حتى انتهاء الاجراءات في محكمة العدل العليا .

ولكن السلطات لم تنتظر ، وقبل البحث بربع ساعة في بيت القاضي د. عصيوني طرد الدكتور أحمد النتشة . لا انسى غضب لوئي غاط الذي صبته امام القاضي والضباط الذين كانوا في غرفته .

ولكن الجهد القضائي آنذاك لم يذهب عبثا . فالاستهتار بالقاضي كان مكشوفا ، وغضبه على ذلك كبير جدا . والنقد على ذلك في البلاد وخارجها دل على انه في يوم من الايام اعيد الدكتور النتشه للمنطقة ، واستطاعت السلطات القول ان اعادته تصحيح للخطأ القضائي الذي ارتكب .

انتهى الوقت واتصلت الى بيت القاضي . « لقد حصلت على امر احترازي » قال الصوت الذي من الطرف الاخر . « احضروا كل شيء ليستطيعوا طباعته » . اخبرت عناية بكل شيء فابتسمت لي . خلال دقائق كنا في اروقة المحكمة العليا . خلال ذلك اهتم نائب المسجل بطبع الامر واقراره وكان بالامكان الشعور الى اي مدى كان يدرك سرعة الموضوع . بقي الان ان نسلمه الى النيابة العامة . وهنا لم استطع الامتناع عن تذكر تجربة الماضي المريره . عندما

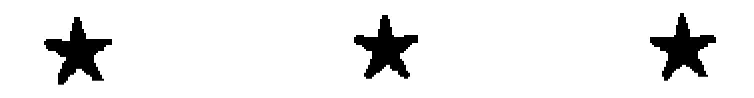
قدمت امرا ضد هـدم بيت في سلواد ، ورغـم ان السلطات علمت بالامر فقد قامت بهدم البيت ، لانني لم استطع تسليمهم الامر .

المسؤولة عن قسم الالتماسات في النيابة العامة المحاميـة دوريت بينوش التقيتهـا في اوج جلسـة بحضـور رجـال المخابرات العامة . لقد قالت لي ان السيد غيلون اتصل بها وابلغها بالامر .

لم يكن لدي ادنى شك بظروف الجلسة وهذا فقط زاد من ثقتي ، لانه تم منع طرد بسام الشكعة .

★ ★ ★

الالتمـاس الذي حـال دون طـرد بسـام



عناية اخذت معها نسخة عن الامر وسافرت الى نابلس . بدأت الاذاعة تتحدث عن أن التماسا (أمرا احترازيا) منع طرد بسام بالامر الذي صدر الان بواسطة قاضي المحكمـة العليا القاضي شلومو آشير الى ان يتم بحث طلب زوجته في الامر الاحترازي ضد وزير الدفاع عـلى مستوى المستشار القضائي للحكومة .

كان هناك من قال لي « لقد فعلت امرا جيدا ، تحسبا لكل ضائقة ، ولكن ، عمليا ، لـم يكن لديهم النية لعمـل ذلك ، لطرده ، واذا كان الامر كذلك فسيعلنون الان انهم لا يعتزمون ذلـك » .

في ذلك الوقت عقد مؤتمر لرؤساء البلديات في نابلس للتضامن مع بسام . علمت ان طاقم التلفزيون الاسرائيلي بصحبة المراسل رفيق حلبي وطواقم تلفزيون اجنبية سافروا الى هناك لتغطية الحادث وللسماع من بسام رأيه بمحادثته مع الجنرال ماط .

وبينما كنت انتظر « شريط الاخبار اليومي » في التلفزيون وبالذات تقرير رفيق حلبي الذي قابل بسام الشكعة اتصل بي احد معارفي الجيدين : « كيف عرفت انهم سيطردون بسام الشكعة ؟ — سألني وواصل — هل تكهنت بذلك ؟ » « كان من قال لي انني اخطأت التقدير » قلت له . « لا . فيليتسيا فقد صدقت في تقديرك بالذات تماما . انهم يعتزمون اصدار أمر طرد ضده . ان توجهكم لمحكمة العدل العليا اصابهم بالجنون وافقدهم اوراقهم . ولكنهم مصممون على طرده » .

المذيع في تلك الليلة في التلفزيون كان يعكوف احيمئير : لقد أبلغ المشاهدين انه « نظرا لاسباب غير مرتبطة بصحفيي قسم الاخبار فلم يكن بالامكان اذاعة التقرير الذي اعده رفيق حلبي عن اجتماع رؤساء البلديات في نابلس » . بعد ذلك اظلمت الشاشة مدة ٣ دقائق . علمت ان «ابيد الظلام » وجه ضربته وان التحريض ضد بسام مستمر وفق الانطباع المكتمل كلهم ينشرون التحريضات الدموية ، وعندما يطلب المتضرر اعلان رأيه وتفنيد الكذب فلا يحق له . عندما شاهدت الصحفي في اليوم التالي اضاف خطأ الى الجرم عندما قال انه لا يسمح بنشر التقرير « لانه غير مستعد لوضع الشاشة تحت تصرف قتلة الاولاد » مع العلم أنه عرف بأن بسام أنكر في مقابلة منع نشرها أنه يؤيد عملية الشاطىء .

بعد ذلك بعدة ايام جرت في تل أبيب مظاهرة بمبادرة اتحاد الشبيبة الشيوعية . طالب المتظاهرون بعدم طرد بسام

وظهروا في شوارع تل ابيب مع صور لوجوه كممت افواهها بالمناديل للاحتجاج على كم الافواه الذي عبرت عنه شاشة التلفزيون في تلك الليلة .

* * *

وفود تضامنية من
« راكح »

في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي ١١/٩ اعلن مذيع « صوت اسرائيل » أن القائد العام لمنطقة يهودا والسامرة أصدر أمرا بطرد رئيس بلدية نابلس . في الساعة السابعة صباحا اتصل بي بسام لابلاغي بذلك . لقد تلقى الخبر بواسطة « صوت اسرائيل » .

مع الاعلان عن النبأ تنظمت بعثة تضامنية من « راكح » الى نابلس برئاسة السكرتير العام عضو الكنيست مئير فلنر وتوفيق طوبي وعوزي بوريشتاين وليئون زهافي ودورون فلنر وتوفيق زياد ودعيت للانضمام اليهم . خرجنا الى نابلس ونحن نتحدث عن القضية والمؤامرة التي تحاك ضد بسام . وعندما وصلنا الى أبواب البلدية شاهدنا الاستعداد : وفود كثيرة تدخل وتخرج ، ابلغونا انهم ممثلون عن كافة انحاء الضفة يتضامنون مع بسام .

كان لقاؤنا مع بسام وديا وقلبيا جدا وبدأ الحديث مع اعضاء الوفد وقال انه في لقائه مع منسق النشاطات في المناطق المحتلة دانيئيل ماط الذي تم بمبادرة الاخير واتخذ طابعا عاما الى ان حقق معه الجنرال ماط حول رايه بعملية الشاطيء .

بسام الشكعة يصر على ان احداثا كهذه تنجم عن الظروف الخاصة بسبب تواجد الاحتلال والاعمال القاسية لاسرائيل في لبنان . ولمنع ذلك يجب القضاء على الاسباب والدوافع .

ماط بدأ يسأل بصورة قاطعة : مع او ضد .

الشكعة سأله : هل استدعيتني لهذا الغرض ؟

الشكعة اشار الى ان اللقاء انتهى بصورة عادية وبالاتفاق على ان يستمر في المستقبل .

وفي حديثه مع اعضاء بعثة الحزب اكد الشكعة انه لم يسبق له اعلان تضامنه مع عنف كهذا الذي حدث في شارع الشاطيء . واشار فقط الى انه طالما ان الاسرائيليين يفعلون ما يفعلونه في لبنان فلا يمكن منع اعمال كهذه التي حدثت في شارع الشاطيء .

واشار رئيس بلدية نابلس الى ان اقواله زورت عمدا .

توجه عضو الكنيست فلنر الى اعضاء المجلس البلدي ووجهاء اخرين حضروا وقال قدمنا الى هنا ، موفدين عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي للاعراب عن تضامننا معك كرئيس بلدية نابلس على ضوء التحريض والتهديد بطردك . نحن بهذا نتضامن مع البلدية والمواطنين ومع كل الشعب العربي الفلسطيني في المناطق المحتلة . نحن نرى بذلك تحريضا مبرمجا سلفا من قبل اوساط الحكم العسكري والحكومة ، لابعاد رؤساء البلديات المعارضين لاتفاقيات كامب ديفيد ومشروع الادارة الذاتية والذين يطالبون بأقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل . ان حادثك ليس منعزلا عما يدور حوله .فهم يحاولون التعرض لرئيسي بلديتي رام‌الله والبيره بادعاء انهم هاجموا رجال الشرطة في المحكمة. ومن هنا يمكن الاستنتاج بأنها مؤامرة ضد معارضي كامب ديفيد وبالذات ضد الشعب الفلسطيني كله .

الشكعة : هـــذا هو
ســـر نجـــاحنـــا

اللقاء مع وفد الحزب الشيوعـــي الاسرائيلي انتهى بقدوم وفد كبير من رجال المنظمات المهنية في الضفة الذين قدموا هم ايضا للاعراب عن تضامنهم مع رئيس بلدية نابلس .

وفي قاعة البلدية التي امتـلات اجتمع اعضـــاء المنظمات المهنية ، رؤســـاء البلديات وممثلين عن منظمـــات شعبية . انضم اليهم اعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي . في رئاسة اللقاء المؤثر الذي جرى جلس رئيســـ بلدية نابلس وسلفيت وسكرتير مجلس العمـــال العام في الضفة عادل غانم وانا . عادل غانم توجه الى المجتمعين وقال : لقد جئنا للاعراب عن التضامن والاحتجاج على المؤامرة التي لا تنفذ ضدك شخصيا فقط ولكن ضـــد كل القيادة في الضفـــة الغربية التي تناضل دفاعا عن حقوقنا .

كلنا تركنا اعمالنـــا اليومية ، من الخليل حتى جنـــين جئنا لنتضامن معك ومع فلسطين . لا يمكن ان نسمح بأبعاد رئيس بلدية نابلس .

بسام الشكعة توجه الى الجمهور والوفد وقال : نحن نقف في لحظة تاريخية اهمة . في تضامنكم هذا تكمن قوة مقاومة الشعب للمخططات الامبريالية المدعومة من الرجعية العربية.

ان نضالنا ضـــد الادارة الذاتية يأخـــذ شكلا اكثر اتحادا وحـــدة . ان لي الشرف ان أكـــون ممثل نابلس في وتوفي برئاسة الجبهة الوطنية ناضلنا في الانتخابات لرئاسة البلدية.

ان سر نجاحنا هو اصرارنا على حقوق شعبنا . منذ انتصارنا في الانتخابات تهاوت خطط فرض العملاء على الضفة ، او ايجاد مؤيدين لاتفاقات كامب ديفيد والاتفاقات بين بيغن والسادات . هذه الخطط افلست .

نحن لن ننسى تضامن القوى الديمقراطية داخل اسرائيل وبرئاسة راكح — مع نضالنا .

ان اعمال سلطات الاحتلال تظهر فشلها . سندافع بكرامة عن حقوقنا . ان ما حدث هو تمثيلية سخيفة من نتاج مخيلة أناس مريضين خلقوا من لديهم أقوالا لا يمكن أن تبرر هذه الخطوات التي يعدون لها ضدي ، كمن لو تضامنت مع عملية الشاطيء . لقد اكدت في حديثي مع قادة راكح ان اقوالي زورت عمدا . وفي المحادثة شرحت الاسباب التي تؤدي لذلك .

ان تزييف اقوالي جاء لابعادي عن مدينتي وعن وطني . ومن يحق له ان يفعل ذلك ؟! أنا منتخب الشعب ! فبعد ان فشلوا بمحاولاتهم الاخرى بأفشال البلدية بواسطة وقف بناء مدرسة ، ومنع احتمالات التطوير بواسطة فرض ضرائب باهظة لم يبق لديهم سوى التحريض هذا . انها محاولة لاكمال جهود مستمرة منذ ٣ سنوات لعزلي عن البلدية . لقد اتخذوا هذه الخطوة لافشال مؤتمر المنظمات المهنية في الحادي عشر من هذا الشهر . لقد ارادوا اضعاف يقظتنا ، لاضعاف ارادة الشعب وتعابير التضامن .

توجهوا الي طالبين ألا أعمل على عقد الاجتماعات وتنظيم الاعمال والنشاطات الاجتماعية . اجبتهم بأن هذا من شأن السكان . انا اشكركم على مجيئكم . انا لم اطلب انعقادكم، فهذه خطوة شعب يدافع عن حقوقه . واذا كان هناك من مذنب فأن كل الشعب كذلك . نحن على استعداد للتضحية

طالما طلب منا ذلك للحفاظ على حقوقنا .

ان وجودي هنا معكم رغم قرار حكومة اسرائيل هو قاعدة جيدة لاحباط هذا القرار . هذه قاعدة جيدة للانتصار حتى اذا ابعدوني . ان مستوى وحدتنا يبرهن احتمالات نجاحنا .

اعدكم انني سأظل مخلصا لاما لكم . أملي هو ان يستمر كل انسان منكم في مكانه في نضاله ويعمقه ويقوي العلاقة بيننا ويقوي الوحدة الوطنية .

ان قرارات الحكم العسكري ناجمة عن وجوده غير الطبيعي . نحن لا نؤمن ان غير المرغوب فيه سيسيطر الى الابد . نحن في وطننا .

في كل مكان اكون فيه سأكون مخلصا لهذا الملتقى واقوم بواجبي في النضال من أجل شعبنا واطفالنا .

استقبلت بسام الشكعة بتصفيق حاد وفي نداء مؤثر توجه رئيس اتحاد النقل في الضفة بنداء الى كل العمال والسكان للسير مع القيادة المنتخبة ، ويقفوا وراءها ، يدعموها طالما انها تدافع عن مصالح الشعب .

* * *

الاعتقال

انشغلت النشرات الاخبارية في « صوت اسرائيل » بقضية بسام الشكعة . وقد تجلى غضب السلطات من اصدار الامر الاحترازي بصورة مكشوفة من خلالها . كان بالامكان أن يفهم منها بوضوح ان نفس المصير الذي لحق بأولائك الاشخاص الذين طردوا قبل ان يتمكنوا من احباط الغبن اللاحق بهم

انتظر بسام الشكعة . وقد اجاد الوزير شارون بالتعبير عن ذلك في ذلك المساء من على شاشة التلفزيون وبلغته المعبرة والبروتالية : « لو كان الموضوع تحت ادارتي لكان الشكعة عبر الاردن منذ نفس الليلة » .

في ساعات الظهر أذيع نبأ مفاده ان ممثل النيابة العامة توجه الى محكمة العدل العليا طالبا تفسير الامر الاحترازي الذي يسمح بالبدء باجراءات الطرد ضد بسام (كما تفهم النيابة) ولكن الامر لا يسري على العملية نفسها (الطرد) . وحسبأقوال المذيع وافقالقاضي على نشر النبأ،لذلك لا مانعمن البدء بأجراءات الطرد ضد بسام . كان واضحا ان السلطات استعجلت في الطريق الى اعتقاله ، لان ذلك يعين اول مرحلة نحو الطرد . وقد أملوا بذلك تناسي حملة التضامن مع بسام حيث ان الاعتقال خصص من أجل تأكيد اصرارهم على طرده مهما كان الثمن .

لم اكن مطمئنة لهذا التفسير القضائي . كان ذلك يوم الجمعة في ساعات ما بعد الظهر . اتصلت بالقاضي شلومو آشير ، في منزله بالقدس وطلبت منه توضيح النبأ الذي سمعته الان . قال لي القاضي انهم طلبوا منه توضيح الامر . وقد فعل ذلك ، وحسب اعتقاده فأن الامر يسري على الطرد نفسه وليس على اية اجراءات ادارية تسبقه . عندما سألته ماذا بشأن الاعتقال قال لي : لقد طلبت أمرا ضد الطرد وهذا ما حصلت عليه .

فهمت ان اعتقال بسام متوقع في كل لحظة .

يوم الاحد ١١/١١ في ساعات الصبح اتصل بي بسام وأبلغني انه استدعي في الساعة الثامنة صباحا الى مكتب حاكم عسكري نابلس ، واتفقا ، ان عليه الذهاب في نفس الموعد المتفق عليه . منذ ذلك لم يكن بيننا اي اتصال .

بعد ساعة ونصف ابلغتني عناية تلفونيا ان بسام اتصبل بها من الحكم العسكري وابلغها انه تلي عليه امر الطرد الى لبنان . وقد رفض قبول الامر وطلب نقله والي . وقد اعلم ايضا ، في نفس المناسبة ، انه سيتم اعتقاله حتى طرده ، في سجن الرملة .

كان أسفي على عناية ، على الأولاد الذين عرفتهم وعلى بسام نفسه . ولكنني كنت واثقة أنه سيذهب الى السجن مبتسما . عندما التقيته بعد ذلك تبين لي ان ذلك ما حدث ، وان الجنود الذين اخذوه للاعتقال ذهلوا من هذه الابتسامة.

فهمت ان علينا ان نعمل بكل جهد ، وان نطلب تفسيرا اخر للامر لدى القاضي الذي اصدره او لدى ثلاثة قضاة اخرين . ولكن قبل ذلك قررت زيارة بسام في السجن بالذات في نفس اليوم الذي اعتقل فيه . حصلت على اذن بذلك من الحاكم العسكري العام للضفة .

قبل سفري ، استعرضت صحف نفس اليوم . كل الصحف أشارت الى حملة التضامن مع بسام الشكعة في نابلس يوم السبت .عنوان معاريف زف « البشرى » التالية: « الشكعة كان بطل الضفة أمس » . وجاء في الخبر الذي اعده يوسف تسوريئيل : « مسيرة التضامن » التي حظي بها أمس رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة والامر الاحترازي الذي صدر ضد منع امكانية طرده حتى بحث الالتماس الذي قدمته زوجته ، حولته الى « بطل الضفة الغربية » . فالذي حدث أمس في الضفة الغربية لم يحدث منذ سنوات . خلال ساعات طويلة تلقى مكتب رئيس بلدية نابلس مئات المحادثات التليفونيةالتي شجعته وهنأته على شجاعته بقولهالحقيقة أمام ممثل للحكم العسكري الاسرائيلي. وما قيل فيالمكالمات الهاتفية عبرت عنه البرقيات التي وصلته حتى من قطاع غزة ومن

شرقي القدس . عـــدد من ممثلـــي دول اجنبية ايضا الذين يعملون باستمرار في المنطقة بادروا للاتصال برئيس بلديـــة نابلس للاعراب عن تأييدهم له . رؤساء البلديات ادعوا ، بدءا بالمعتدل الياس فريج حتى آخر المتطرفين فيهم ، كريم خلف أن « خطـــة افشال » مدبرة قام بها الحكم الاسرائيلي من اجل ايجاد سبب لابعاد الشكعة عن رئاسة البلدية ، وذلك استمرارا لقرار محاكمة رئيسي بلديتي رام الله والبيرة . والصحف العربية الثلاث الصادرة في شرقي القدس أيضا اعربت عن تضامنها مع رئيس بلدية نابلس . الحكم العسكري واوساط امنية اخرى اصيبوا بالذهول من قرار المحكمة العليا ومن تظاهرة التضامن التي تمت علانية وبصوت مرتفع مـــع رئيس بلدية نابلس . »

* * *

اول لقـــاء
في سجن الرملـــة

قدمت طلبا شكليا للمحكمة لاطلاق سراح بسام الشكعـــة بواسطة تفسير اخر للامر الاحترازي يختلف عن ذلـــك الذي اصدره القاضي اشير في ١١/٨ بقولي : ان الفصل بـــين الاعتقال تمهيدا لتنفيذ الامر الاحترازي وبين الطرد نفسه هو شكلي فقط عندما يشكل الاعتقال من الناحية القضائية البدء بتنفيذ اجراءات الطرد التي اجلت المحكمـــة تنفيذها . وقـــد انضم محامون آخرون لـــهذا الطلب تطوعوا للدفـــاع عـــن الشكعة وهم عبد عسلي ، ابراهام ميلاميد ، حنا نقارة ، محمد ميعاري ، يوسي أرنون الذين انضم اليهم فيما بعـــد المحامون بنحاسي وتسفي غيلون لمساعدتي .

ابلغت عناية بمحادثتي مع واشنطن وبمحادثتي مع زميلي

د . جيمس زغبي رئيس لجنة حقوق الانسان الفلسطيني والسلام ، حيث وصلتهم انباء طرد بسام مدوية مثل رعد في يوم صاف . ابلغني بأنه جرت مظاهرة بالقرب من وزارة الخارجية بمشاركة حوالي ٤٠٠ شخص . المتظاهرون ابلغوا وسائل الاعلام ان الولايات المتحدة تؤيد كل القوى الرجعية في العالم مثل الشاه الفارسي وبينوتشيت الطاغية في تشيلي والان السياسة الخاسرة التي تنفذها اسرائيل ، الامر الذي دفعهم للمطالبة بوقف كل المساعدة المالية لاسرائيل والغاء امر الطرد فورا ضد رئيس بلدية نابلس . « انتم ملونون ، رجال ال S. D. عندما تتحدثون عن اناتولي شيرانسكي والان تدوسون حقوق الانسان كما تفعل ذلك اسرائيل ــ بصمتكم» ابلغتها بوعد جيمس بالنضال من أجل اطلاق سراح بسام وانه يتلقى بيانات التأييد من اشخاص عديدين بينهم شخصيات يهودية .

خرجنا الى الرملة سوية مع عبد عسلي . وصلنا السجن متأخرين بعض الشيء . بعد تأخير بسيط ادخلنا الى مكتب التسجيل . « جئنا لمشاهدة رئيس بلدية نابلس » قلت للسجانين فتوجهوا فورا الى المدير للتشاور . بعد دقائق معدودة فتحوا امامنا البوابة الحديدية الموصلة الى الممر وادخلنا الى غرفة محامين . في هذه اللحظة بالضبط احضر امامنا بسام . تصافحنا . « هذه هي زيارتنا الاولى الى مكتبك الجديد » قلت ملزمة .

وبعد ان بدأنا بالحديث الى بسام لصق بنا فورا سجان برتبة ضابط . « من فضلك يا سيدي أن تقف على بعد مسافة قريبة تمكنك من رؤيتنا ، ولكن لا تقف على بعد مسافة تمكنك من سماعنا .. هذا هو حق كل سجين لدى لقائه بمحاميته » قلت له « لا .. ولا » .. اجاب : « لقد تلقيت امرا بالوقوف الى جانبكم والاصغاء الى كل كلمة بالذات ». « اذا كان الامر

هكذا سأنهي الزيـــارة ... انا لم احضر الى هنـــا للقيـــام باجتماع عام مع موكلي بحضور سجانـــين وباشتراكهـــم .. يكفينا بالتأكيد داني ماط واحد ». قلت ، بعد ان اصر الضابط على موقفه انهينا الزيارة بعد ان شرحـــت لبسام الامـــر . اخرجه السجان من الساحة عائدا الى معتقله الانفرادي . « سنعود اليك ، وسيكون ذلك اليوم » وعدته .

طلبنا مشاهدة المدير . تمكنا من ذلك بعد تأخير مستمر . المدير كان «مؤدبا» جدا « ونشيطا» جدا . فقد أصدر أمره الى الضابط بالوقوف بالقرب منا والاصغاء الينا وذلك لاسبـــاب امنية وهو يستطيع ان يرينا اوامر مكتوبة تسمح له بأن يفعل ذلك . شرحت له بانني لا اوافق على مشاركة سلطـــــات السجن دفاعي عن موكلي ، لان الامر يعارض اصول المهنة العملية فيما يتعلق بالسرية التي بين المحامية وموكلها . ولكن المدير يفهمني ، ولكن الاعتبارات الامنية فوق كل شيء . هنا قلت لـــه ان الذين يمسون بالامن هـــم اولئك الذين اعتقلوا بسام وليس الذين قدموا للدفاع عنه . عبد اقترح الاتصـــال بالمستشار القضائي الذي سمح لنا بالزيارة ، وقد فعل المدير ذلك .

أجاب الطرف الثاني للتلفون بأننا ندرس الموضوع ولكنـــه لا يريد تحمل مسؤولية ذلك على عاتقه لذلك يجب عليـــه التشاور مـــع أحدهم :.

مر الوقت بالحديث عن مواضيـــع مختلفة ، امـــا اجابـــة المستشار فيبدو انها خجلت من المجيء . توصلت الى نتيجة انه يجب وقف اللعبة . « انت مستشار يا سيدي ، وقـــد قررت ان هذا سيكون لصالح الموضوع بالذات عندما لا نلتقي اليوم مع موكلنـــا . ان هـــذا سيظـــهر اكثر فأكثر الظلـــم والاستبداد الذي يكمن في هذه القضية المفتعلة ، بحيث انـــه

لم يعد موضوع انسان بريء فقط يمكث في السجن بـــل تمنعوننا من الدفاع القضائي عنه » .

يبدو انه كان في هذه الجملة ما حرك المدير. فقد طلب مني التحلي بالصبر لحظة بسيطة ، وبدأ اتصاله مرةومرة ، واعطيت الموافقة على اجراء مقابلة على انفراد .

شرحنا لبسام أهمية هذه المعركة الصغيرة . كان هادئا ومرتاحا . تحدثنا عن الامكانات الموجودة أمامنا الان ، عن اللجنة الاستشارية للاستئنافات التي يستطيع الظهور أمامها مستأنفا على قرار الطرد . بسام تحفظ من الذهاب الـى اللجنة التي هي لجنة عسكرية معينة من قبل نفس السلطة التي أصدرت أمر الطرد ضده . شرحت له أنه من المحتمل أن تطلب المحكمة أن نذهب في البداية الى اللجنة وأننـا سنضطر دون أي مفر الى اللجوء اليها . بسام أيد اقتراحي وترك لي حرية القرار في الموضوع .

في مساء نفس اليـوم سمعت نائـب وزير الدفاع ، مردخاي تسيبوري في « صوت اسرائيل » يتحدث في برنامج « هذا اليوم » . كان بالامكان أن يفهم من أقواله أن مجرد الحديث مع داني ماط وأقوال بسام في هذا الحديث تكفي لاقرار طرده وأنه يقف أمام انتقاد الجمهور ، لذلك قـال « النائب » ان بسام مساس بالأمن ومحرض ومثير للقلاقل ويجب طرده من البلاد . والحديث مع داني ماط فقط أكمل الصورة ، ولكن هناك مادة ضد بسام الشكعة يمكن الاستناد اليها وأنه لا توجد ديمقراطية تستطيع أن تحتمل ذلك .

اذن ثمة محاولات « لتأسيس » الادعاءات ضـد بسام لكي لا يظهروا بمظهر من يطرد انسانا استنادا الى محادثة شخصية مع ضابط . الهدف هـو مواصلة التحريض حتى النهايـــة .

ولكن ، لم يتنبأوا بكل شيء مثلما فعل يهودا ليطاني في جريدة « هآرتس » لنفس اليوم . فقد شهد مقاله كم هو متزن في المؤامرة ضد بسام . هذا هو مقطع من مقاله :

تم تنفيذ آخر عملية طرد من الضفة الغربية قبل ثلاث سنوات ونصف عدة أيام قبل انتخابات المجالس البلدية في هذا النطاق تم طرد الدكتور أحمد حمزة النتشة أحد رؤساء الحزب الشيوعي في الضفة الذي كان مرشحا لرئاسة بلدية الخليل .. واضح اليوم أن الدكتور النتشة طرد بسبب كونه مرشحا لرئاسة البلدية — لقد خشي الحكم العسكري من وصول أحد رؤساء الحزب الشيوعي المتضامن علانية مع منظمة التحرير الفلسطينية الى رئاسة البلدية التي ترأسها آنذاك محمد علي الجعبري .

التهمة التي وجهت للنتشة آنذاك هي النشاطات في الجبهة الوطنية الفلسطينية وبالعمل السري وبعد طرده بسنتين تم اعادة الطبيب ابن الخليل حسب أوامر عيزر وايزمان الذي استجاب لطلب رئيس البلدية فهد القواسمي .

الان يدعم وزير الدفاع طرد رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة بعد حملة من الهستيريا الجماهيرية التي ثارت على أقواله — التي لم تنقل بدقة — خلال محادثة مع منسق النشاطات في المناطق الجنرال داني ماط . رئيس البلدية الذي لا تفارق الابتسامة وجهه من أهم ، ان لم يكن أهم رئيس بلدية في الضفة الغربية لم يفز بمنصبه بسبب مركزه العائلي أو غناه أو نظرا لكونه نشيطا في حزب البعث في الماضي البعيد في الضفة . ان استقامة الشكعة والتصاقه الحميم بمنظمة التحرير الفلسطينية وأهدافها وصلاحيته للقيادة وتواضعه المتزايد هي مركز أهميته العظيمة .

وهو يحظى بحب المثقفين والبروليتاريا والاميين والاغنياء والفقراء ليس فقط في بلده انما في القرى المجاورة وبالذات

في كافـة أنحاء الضفة الغربية . مكتبه في البلدية ومنزلـه مفتوحان ٢٤ ساعة يوميا أمام من يطلب مقابلته — تقريبا في أي موضوع كان — من تزويد المياه والكهرباء حتى المفاوضات مـع الحاكم العسكري .

وبعد المحادثة الشهيرة في مكاتب الحكم العسكري بحضور تسعة ضباط مقابل رئيس بلدية واحد بفترة قصيرة نشـر « صوت اسرائيل » في نشرة أخبار الظهيرة حقيقة تضامن الشكعة مع أعمال المسلحين الفلسطينيين في عملية الشاطىء — التـي حظيت باهتمام الصحافـة المتزايد بعـد ذلك . والضباط الذين اشتركوا في الجلسة يشهدون أنها جرت في جو جيد وودي وأن الجنرال ماط لم يلفت نظر الشكعة الى أقواله — التي لم تنقل بدقة في الاذاعة أو الصحافة — حول عملية الشاطىء .

أصـول اللعبـة

شد داني ماط بود على يد بسام الشكعة في نهاية المحادثة وتمنى له عيدا سعيدا — بمناسبة عيد الاضحى — ... منسق شؤون المناطق لم يقف حالا على الاقوال التي أسمعها الشكعة . هناك مـن اهتم بنقل الموضوع الـى مراسل « صوت اسرائيل » لاثارة هستيريا جماهيرية بسبب ذلك . هناك من حضر المحادثة وكـان معنيا بالاساءة الى رئيس البلدية الاكثر قبولا لدى سكان المناطق والاكثر مكروها على عدد من أشخاص الحكم العسكري والمخابرات العامة .

بسام الشكعة يدعي أنه محاولوا نصب كمين له وأنه حاو لفي البداية التملص من أسئلة داني ماط الذي امتاز في ساحة الحرب الا أنه لا يمتاز بنفس القدر في محادثاته مـع القادة الفلسطينيين في المناطق . داني ماط قال بعد ذلك أنه

خلال المحادثة قص رئيس بلدية نابلس عليه نماذج عديدة من تصرف الحكم العسكري ــ اطلاق النار خلال صلاة في المسجد في طولكرم وغير ذلك وأن الشكعة حساس جدا لتصرفات الجيش الاسرائيلي في المناطق دون فحصها بدقة .

لقد حضرت عشرات المحادثات من هذا النوع التي يقف فيها رئيس بلدية ضد حاكم أو قائد منطقة أو منسق نشاطات في المناطق . رئيس البلدية غالبا ما يقرأ من قائمة موجودة أمامه المطالب في مواضيع مختلفة والممثل الاسرائيلي بشكل عا ميهز رأسه ويعد بالتدقيق في الامر . هذه هي أصول اللعبة المقبولة منذ عام ١٩٦٧ كل طرف يعرف دوره ويؤديه باتزان ، رئيس البلدية يعرف أن طلباته لن تتحقق .

الجنرال ماط قرر اتباع أسلوب يهودي مدروس : الرد بسؤال على سؤال رئيس البلدية : هل يجب أن يكون فرق في معاملة قاتل زوجته بسبب شرف العائلة ومسلح شارك في عملية الشاطىء ؟ جواب الشكعة كان على ما يبدو عاما جدا بالنسبة لتوقع ماط . فسأل : ما هو رأيك في عملية الشاطىء ؟ .

« تقرير شبه مكتمل »

وفي صباح الثاني عشر من نوفمبر اصطدمت بالنص الاحمق لتفاصيل المحادثة بين داني ماط وبسام الشكعة . وتحت عنوان « تقرير شبه مكتمل » قرأت : ــ

المحادثة التي أثارت الضجة بين الشكعة والجنرال ماط جرت في السادس من الشهر الجاري . في المحادثة حضر ستة ضباط ومترجم وسجل محتوياتها ضابط سابع .

الوضـــع الاقتصـــادي

الجنرال ماط : كيف الحال والصحة ؟

الشكعة : بشكل شخصي صحتي جيدة جدا . ولكن بشكل عام فان الوضع الاقتصادي سيء جدا . الوضع في البلدية أيضا سيء ومن خلال تقارير الغرفة التجارية يمكن ادراك أن الوضع الاقتصادي سيء .

من ناحية سياسية الناس قلقون مـن الوضع ... لا يعرفون مـاذا سيكون . الفلسطينيون يعانون ولا يوجـد أي حل لتطلعاتهم السياسية كـل الاقتراحات التي تقدمها اسرائيل مناقضة مع تطلعات الفلسطينيين .

الجنرال ماط : لا أعتقـد أن الوضع الاقتصادي سيء كمـا تصـف .

الشكعة : لا ، الوضع خطير . الوضع الاقتصادي غير حسن ، وبسبب الوضع الاقتصادي في اسرائيل أيضا الذي يترك أثره على الضفة الغربية . لديكم أشخاص يستطيعون احتمال الوضع . لا يوجد لدينا من يحتمله .

الجنرال ماط : كم عدد الاشخاص العاملين في اسرائيل مـن نابلس ؟

الشكعة : لا أعرف كم عدد النابلسيين ولكنني سمعت أن عدد كل العاملين في اسرائيل من الضفة الغربية يصل الى سبعين ألف شخص . الا أن ما يتقاضونه أجر زهيد وفي بلدية نابلس هناك عجز مستمر .

الجنرال ماط : هذا في اسرائيل أيضا .

الشكعة : ما هو ذنبنا ؟ نحن نخصص ميزانية معينة لمد شارع وحتى ننفذ ذلك ترتفع الاسعار بشكل عال . وهكذا

يحدث مع كل شيء نستورده من الخارج حتى يصلنا فان سعـــره يتضاعف .

الجنرال ماط : الوضع هو كما في اسرائيل ... من جهة يدعون أن الوضع صعب ولكن من جهة ثانية يرون ان الناس يخرجون للشارع ويشترون والحوانيت ملأى بكل حسن وكل الوقت يقيمون البيوت الجديدة هذا يدل على أن مع الناس امـــوال كثيرة .

الشكعة : هذا صحيح . الناس هنا يتلقون اموالا اكثر من أبنائهم العاملين في الخارج ولكن هذا ليس نتيجة للوضع الاقتصادي الداخلي .

الجنرال ماط : الى أين وصل الوضع الاقتصادي اليوم فـــي الاردن ؟

الشكعة : لا اعــرف شيئا عــن الموضوع لست خبيرا بالشؤون الاقتصادية ، أنا أتحــدث استنادا الى تجربـــة ولقاءات مع الناس .مثلا نحن ملزمون في بلديتنا بدفع علاوات للموظفين وهناك عجز والسلطات لا تتعاون معنا في هـــذا المجال . كـــل طبقات الجمهور تتذمـــر من الوضع وغـــلاء المعيشة ولا يستطيعون احتمال الغلاء .

بالنسبة للاردن فمن خلال ما وصلني صحيح أن هناك يوجد غلاء ولكن الرواتب أفضل . مثلا ، المهندس يتقاضى أجرا أفضل . هناك مهندس له خبرة عمـــل عشر سنوات يحصل على ٦٥٠ دينارا في الشهر مقابل ١٥٠ دينارا يتلقاها مهندس هنا شهريا . العمال هنا يتقاضون أقل .

حـــــرب أعصـــــاب

الجنرال ماط : كيف كانت زيارتك الاخيرة للاردن ؟

الشكعة : وسط ...

الجنرال ماط : كيف كان فعلا ؟

الشكعة : طالبنا بالمزيد من الاموال لتنفيذ مشاريع للبلدية حصلنا في النهاية على ٥ر٢ مليون دولار الا ان مشروعا كالمجاري عندنا يكلف مليون دينار .

الجنرال ماط : نحن نسمع شكاوى للمواطنين ضدك لانك تعطشهم في الصيف ولا تعطيهم الماء .

الشكعة : « يضحك » .

الجنرال ماط : قد تعتقد أن الناس يفهمون ذلك

الناس لا يفهمون .. من يحصل على الماء مرة واحدة خلال أربعة أيام يقول أن الايديولوجيا حسنة ولكنه في نفس الوقت يريد أن يعيش .

الشكعة : لقد حللنا قضية الماء . صحيح أن المشاريع مؤقتة ولكنني آمل أن تحل المشكلة في السنة القادمة بعد ان يتم حفر بئر في وادي فاروق . الله ساعدنا أيضا بواسطة الامطار . أنا أريد معرفة من هم الذين يتصلون اليكم ويشتكون قد يكونوا ضد البلدية .

الجنرال ماط : هناك أكثر مما تتوقع .

الشكعة : يضحك بصورة متواصلة . هذه حرب دعائية ضد البلدية وحرب أعصاب ضدي .

الجنرال ماط : ماذا تقول أيضا ؟

الشكعة : لدي الكثير ، المعتقلون في السجون خاصة أولئك الموجودون في بئر السبع وطولكرم ... ان معاملتهم سيئة .. نادر العفوري مثلا مريض ، مقعد حالته الصحية صعبة ومع العلم أنه في العيادة لم يتم اتخاذ أي شيء لاطلاق سراحه .

الجنرال ماط : الموضوع معروف ومدروس .

الشكعة : لقد طالت دراسة موضوعه . الشكاوي مستمرة وقد اكتسبت القضية ابعادا دولية .

الجنرال ماط : لماذا يتذمرون ؟

الشكعة : مثلا في السجون يضعون المرايا على الشبابيك او اية مادة عاكسة للشمس في عيون السجناء وهم يتذمرون لشدة الضوء في الليل ... يتذمرون من أمراض عصبية ومن الرطوبة . ان معاملتهم أسوأ ما يكون . انها معاملة قاسية وفظة ... في سجن طولكرم سمعنا أنهم أطلقوا النار على المساجين الذين قاموا باداء صلاة الجمعة .

الجنرال ماط : كذب ... بالنسبة للمعاناة والمعاملة لقد كتب جندي اسرائيلي ذات مرة رسالة لقائده تذمر فيها من ان جميع الشلة في مقره يسمعون كل اليوم أغاني فريد الاطرش وهو يعاني ..

الشكعة : لقد سمعت من أحدهم بخصوص اطلاق النار وهذا صحيح . انني واثق ان هذا حدث ... أرجو التحقيق في الموضوع .

الجنرال ماط : احضر هذا الذى يعرف ليقول متى حدث هذا ونحقق .

الشكعة : قبل ثلاثة أشهر .

الجنرال ماط : أنا على استعداد لمقابلة الذي اخبرك .

الشكعة : تلقيت رسالة من سجين ومن الممكن أنه يخاف كشف اسمه واذا كانت الرسالة معي كنت اريك اياها .

الجنرال ماط : أمعك الرسالة ؟

الشكعة : لا

الجنرال ماط : ليكتب نفس الشخص رسالة جديدة بشكل لا يعرفوه فيها .

الشكعة : اسهل من هذا التحقيق في السجن .

الجنرال ماط : واسهل أن نقص قصصا غير صحيحة .. بعد كل طلقة نحن نحقق لا يمكن ان يحدث هذا دون أن نعرف الا أنك تقول أن هذا حدث قبل ثلاثة أشهر سنحقق مع ذلك.

أتسمون هـــــذا عفـــوا ؟ ...

الشكعة : هل تسمي من تطلقون سراحهم من السجن قبل موعد خروجهم بعشرة أيام بمناسبة العيد وكانوا دون ذلك سيخرجون ــ هل تسمون ذلك عفوا كما تقولون في صحفكم ؟ هـــل أنتم على استعداد لدراسة ذلك ؟ قـــال بسخريـــــة !! .

الضابط صافي : أولا كان هناك عشرة أشخاص أطلق سراحهم من سجن نابلس وربح قسم منهم ٣ سنوات والاخر سنتين . أقل ربح كان بين ٢٠ــ٢٥ يوما قبل موعد الافراج أنا أتحدث فقط عن سجن نابلس .

الجنرال ماط : نحن نحاول كل عيد اطلاق سراح عـــدة أشخاص حسب تصرفاتهم . أحيانا هناك أخطاء أيضا لدى السجناء في سجون اسرائيل في السجـــن لا يحصلون على الجوائـــــز .

الشكعـــة : يضحـــك .

الجنرال ماط : يجب أن تكون هناك معاملة معقولة من الناحية المبدئية لكن لا توجد جوائز في السجن .

الشكعة : حتى في تقارير ممثلية السجون قيل أن هناك تمييزا في معاملة السجناء الاسرائيليين والعرب . الامر غير الطبيعي هو معاملة العرب .

الجنرال ماط : موضوع المعاملة أنا مستعد للتحقيق فيه مـــع ضبا طالسجون ولكنني أسألك كيف يجب أن تكـــون معاملة انسان قتل زوجته وحكم عليه بالسجن وهؤلاء الذين نفذوا القتل في شار عالساحل . ما هو رأيك الشخصي ؟

الشكعة : الذين نفـــذوا عملية الشاطىء قامـــوا بذلك بسبب الاحتـــلال وهم يريدون حريتهـــم ... حتى القانون الدولي يقر بذلك ويعترف بهم كأسرى حرب .

الجنرال ماط : ولكن هل تؤيد أعمالهم ؟

الشكعة : السجن واحـــد وكل قاض هـــو انسان في السجن . هناك قوانين وتسري علـــى جميعهم دون تمييز من ما فعلوه .

الجنرال ماط : أحدهم ألقى طفلا داخل النار ، هـــل تؤيد هذه العملية ؟

الشكعة : لا . لا أؤيد القاء طفل للنار هذا مبالغ فيـــه ولكنني لم أكن هناك ولا أعرف ما اذا كان ذلك حدث فعلا .

الجنرال ماط : ولكن اذا كانوا قـــد تفاخروا بذلك في المحكمـــــة ؟

الشكعة : سمعت من الناس أنهم فعلوا ذلك انطلاقا من واجبهم لانهم أرادوا اطلاق سراح اخوانهم الذين في السجن ... اذا كانت أعمال كهذه قد وقعت فانها رد فعـــل على أعمـــال الاخرين ... بالنسبة لاسرائيل فانهـــا كدولة ترد بقسوة . مثلا ، في جنوب لبنان . طالما ان هناك احتـــلال وقتل عليكم ان تتوقعوا المزيد من هذه الاعمال .

الجنرال ماط : هل تؤيد هذه الاعمال شخصيا ؟

الشكعة : أعتقد أن عمليات كهذه قد تثمر وذلك بسبب الوضع الذي نعيشه . مثلا اسرائيل تضرب حقوق الشعب الفلسطيني وسياستها هي سياسة قوة ولا يعقل أن ذلك لن يتسبب بردود فعل كهذه . ان خط اسرائيل هذا قد يتسبب بحرب جديدة مع الدول العربية . في نفس الوقت يمكن أن تكون هناك أعمال فدائية لافراد بسبب الوضع الحالي ... هذا هو الواقع الذي نعيشه .

الجنرال ماط : أهذا هو رأيك الشخصي بالعملية ؟
الشكعة : لقد قلت : ان الحادث جزء من كل الوضع .
الجنرال ماط : ان هذه المحادثة تبرهن على ديمقراطيتنا .

الشكعة : هناك عمليات غير ديمقراطية مثل كل سياستكم في المناطق المحتلة والسجناء وغير ذلك كثير .

الجنرال ماط : كيف كان الوضع أيام الاردن ؟

الشكعة : في فترة الاردن لم ينازعوا أحدا على أرضه .. كانت هناك سجون وأعمال اخرى ولكن لم يهددوا وجودك ، وأنت تعيش على أرضك ... ان الوضع الديمقراطي بالنسبة لي لا يهمني لانه لو كان ذلك فعلا لما كان هناك احتلال ...

الجنرال ماط : ولكن هل تسمي تأييدك لعملية الشاطىء عملا ديمقراطيا ؟

الشكعة : لدق قلت أن العملية نتيجة للوضع ... ولكن القاء طفل للنار عمل غير صحيح . هذا ما لا أؤيده ... هناك أمر معقول هو أن نوافق على أنه في القرن العشرين يجب دراسة الاسباب ومعالجتها .

من خلا لقراءة هذه الاقوال لم يتبق الا الدهشة من المستوى العقائدي الذي وصل اليه المسؤولون عن تحوير

الصيغة الاولى التي اثارت هستيريا مخيفة بهذه الدرجة . لم أستطع الامتناع عن التفكير في أنه لو لم يمنع طرد بسام ، فمن المحتمل جدا الا يعرف الجمهور ـ الحقيقة ـ حقيقة ان بسام لا يتضامن مع قتل الاولاد والنساء وان كل ما كتب عنه بهذه الروح لم يكن سوى نسيج خيال .

امتلأت بالامال . اتصل الكثيرون بي معربين عن دهشتهم . فكيف يعتزمون طرد بسام على أقوال أدلى بها في محادثة خاصة ، ولا يمكن تبرير اية خطوة ضده .

على خلفية ما نشر في « هآرتس » فهمت أقوال نائب الوزير ، التي رمزت على أن القاعدة التي استند عليها الطرد كما ادعوا في البداية مادت ، لذلك يجب البحث عن ادعاءات ومبررا تاخرى مهما يكن .

القوى الديمقراطية اليهودية
تنظم حملات تضامن

ازدادت مقاومة قرار الطرد في المناطق وفي اسرائيل . حزبيون من الحزب الشيوعي وحركة شيلي وحزب العمل طالبوا بالغاء خطوات الحكومة . في « دافار » ، «هآرتس» و « عل همشمار » ظهرت افتتاحيات بنفس الروح ، أكدت أيضا ان اجراءات الحكومة خطأ سياسي .

في الضفة الغربية وقطع غزة كانت ردود فعل غاضبة : فقد قدم ١٣ رئيس بلدية وماجلس محلية استقالاتهم احتجاجا على خطوات الحكومة ، واستقال أعضاء مجالس محلية كثيرة وأدان أشخاص بارزون من كل التيارات السياسية نية الطرد واعربوا عن تضامنهم مع الشكعة . منظمات اجتماعية ،

ومؤسسات دينية وخيرية ومهنية وطلابية نشرت بيانات الادانة . في نابلس ورام‌الله جرت الاضرابات التامة . في أماكن مختلفة من الضفة جرت المظاهرات والاجتماعات الاحتجاجية وأضربت الكليات الجامعية عن التعليم . في نابلس أجرت عشرات النساء اضراب جلوس في مبنى البلدية . أرسلت البرقيات الاحتجاجية الى السكرتير العام للامم المتحدة وللممثليات الدبلوماسية الاخرى .

توجهنا الى وزير الدفاع وأبلغناه في برقية خاصة أننا غير معنيين بالظهور أمام اللجنة الاستشارية للاستئنافات لكونها مركبة من رجال عسكريين فقط ولكونها الذراع التنفيذية للمدعي ، والخاضعة له ، وليست لجنة مدنية مستقلة ، وان موكلي واثق في‌نضاله ضد طرده من خلال محكمة العدل العليا وبالاجراءات المتعلقة بذلك . هكذا جاء في‌البرقية . وفي نفس اليوم أبلغتني المحكمة أن طلبي تفسيرا آخر للامر الاحترازي يختلف عن السابق له ، والذي أملت بواسطته أن يتم اطلاق سراح بسام — تم رفضه من قبل القاضي آشير .

تطـــور هـــام

تطور هام جدا شهده النضال من أجل اطلاق سراح بسام ، بحيث أن نتائجه الحاسمة كانت معلومة لنا فقط بعد ذلك . جريدة « هآرتس » في ١٢—١١—١٩٧٩ أعلنت أن رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة أعلنوا في مؤتمر لهم في رام الله أنهم سيستقيلون من مناصبهم اذا لم يتم الغاء كل الاجراءات ضد الشكعة ، واذا لم يتم الغاء قرار طرده . وذكرت الصحيفة أن مؤتمرات سياسية هامة جرت في الخليل وطولكرم وانه تقرر هناك أيضا استقالة كل رؤساء البلديات والمجالس القرويةاذا تم طرد بسام الشكعة.

نابلس أضربت . أعضاء المجلس البلدي قدموا للحاكم العسكري استقالتهم الجماعية . حكمت المصري ، رئيس البرلمان الاردني سابقا التقى بحاكم عسكري نابلس وطلب منه ترتيب لقاء له مع عيزر وايزمان في موضوع الشكعة . المصري أراد أن يترأس وفدا من المدينة للقاء وايزمن والمطالبة بالغاء القرار . بعثة أخرى من رؤساء البلديات في الضفة طلبت هي الاخرى لقاء وايزمان .

وأعلم وزير الدفاع مقربيه أن قضية الشكعة شهدت سلسلة من التطورات التي كانت خارجة على ارادته .

وعلم مراسل صحيفة « هآرتس » أن الحكومة « ستدعي أمام المحكمة العليا أن طرد الشكعةلم يكن بسبب محادثته مع الجنرال داني ماط التي أعرب فيها عن تضامنه مع القتلة بصورة غير مباشرة بل بتهمة التعاون مع المخربين . وقالت أوساط أمنية ان اعتقال الشكعة جاء للتحقيق معه في هذا الموضوع . » .

في نابلس جرى اعتقال بعض الافراد . وفي رام الله جرى اعتقال شبان رجموا سيارات الجيش بالحجارة وأضربت المدارس في المدينة في نفس اليوم .

بعض الاوساط الحكومية علقت على قرار رؤساء البلديات بتقديم استقالاتهم بأنهم « سيقتنعوا » ويعودوا للعمل بعد أن يدركوا أن « المتطلبات القومية » تفرض عليهم البقاء في عملهم .

اذن ، تخيلت السلطات أن رؤساء البلديات سيثيرون الضجة وبعد ذلك سيهدأوا على ضوء « المتطلبات القومية » . أما الى أي مدى صدقت ادعاءاتهم فهذا ما سنشاهده في الصفحات القادمة .

مذكرتان

اتصل بي الصحفي غبريئيل شتين والمحامي بنحاسي وتحدثت الى الجنرال متتياهو بيلد . أعطوني مذكرات لتقديمها الى المحكمة أشير فيها الى موقف الشكعة من النزاع العربي — ألاسرائيلي الذي أعرب عنه بأنه من الممكن أن يكون هناك تعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، هذا الى جانب ذاك ، لدى احقاق حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وبعد أسبوع تقريبا تلقيت مذكرة من عضو الكنيست أوري أفنيري بنفس اللهجة .

تقرر أن يتم اللقاء بين وزير الدفاع ورؤساء بلديات الخليل وبيت لحم وغزة وخان يونس في ١٣ من الشهر نفسه . رؤساء البلديات اعتقدوا أن مجرد موافقة وزير الدفاع على مقابلتهم وهو يعرف مسبقا نيتهم ، تشهد على موقفه المؤيد لمطالبهم بالغاء أمر الطرد .

ونبع تقديرهم هذا أيضا من الاشاعات بأن موقف الوزير لم يكن مرتاحا من الذي فعله داني ماط ، خاصة بعد نشر البروتوكول الثاني للمحادثة .

رؤساء البلديات المذكورين أعلنوا أنهم يؤجلون استقالتهم حتى تلقي رد الوزير الذي تحدد في ساعات الظهر في ١٤—١١ . استقال كل رؤساء البلديات في هذا اليوم . أما تفاصيل مقابلة رؤساء البلديات للوزير وايزمان فسوف ندرسها من خلال المذكرة التي سلمني اياها السيدان فهد القواسمي والياس فريج .

الكل توقع نتيجة ايجابية من المقابلة مع الوزير .

في ١٣—١١ عندما حضرت الى سجن الرملة أخروني حوالي ٤٥ دقيقة ، وقد كان خطأ في عد السجناء مما تطلب،

اعاددة هذه العملية من جديد ، دون أن يكون أحـــد من الخـــــارج .

هذه المرة تحدث بسام عن اضرابه عن الطعام . طلبت منه على الاقل أن ينتظر عدة أيام ، فقد يستجيب وايزمان لمطالب رؤساء البلديات . لماذا السرعة ؟ وافق على تأجيل الاضراب الا أنني شعرت أنه يريد الاعراب عن غضبه بهذه الطريقة والمشاركة في النضـــال العنيــد من أجل قضيتـــه فـــي الخـــارج .

في نفس المساء اتصل جيمس زغبي ، وقال لي انه في نفس اليوم كانت مظاهرات من أجل اطلاق سراح بسام في ٣٠ ولاية أميركية وأن لجنة خاصة تعمل من أجل اطلاق سراحه . في الايام التالية تعتزم « الجروزلم بوست » نشر اعـــلان كبير يطالب فيه أشخاص معروفون بالغاء قـــرار طـــرد بسام الشكعة .

غداة ، في الرابع عشر من الشـهر ، كان « يوم الرد » . قدمت الى بسام وأطلعته على كل عناوين الصحف التي قالت ان الوزير وايزمان يميل الى اطلاق سراحه والغاء أمـــر الطرد الصادر بحقه ، كل ذلك الى جانب نقد شديد اللهجة موجه لداني ماط . ترددت أنباء مفادها أن داني ماط سيقال ، وان وظيفة منسق شؤون المناطق ستلغى ، كـــان اللهجة السائدة ان داني ماط أدخـــل الحكومة في مأزق لم تكـــن بحاجـــة اليــــه .

« آخـــــر المتعقلـــين »
لـــم يكـــن ... « متعقـــلا »

استعرضنا تطور الامور على شكل تلخيص . عدنا الى محادثة بسام مع داني ماط . « أنظري — قال لي — كم هو

واضح التحريض الان ضـــدي ، عندما نشر النص شبــه الكامل للمحادثة . هناك أقوال قلتها في المحادثة لم تظهر في هذا التقرير . أكـــدت على سبيل المثال أمـــام داني ماط موضوع رسالة الجندي الاسرائيلي لاحد رؤساء البلديات ضد قتل الاولاد في لبنان . قلت لماط ان هذه هي الظواهر التي تثير الامل بالتعايش . أما بالنسبة لاعمال العنف أو عملية الشاطىء ، حثثته على البحث عن مصدر السوء ، كما هو مفروض على أب لابن خاطىء ، من أجل اصلاح طريقه . أنا ضد قتل النساء والاولاد . وهكـــذا قلت لداني ماط . لذلك ليس لدي عم أتراجع أو أعرب عن أسفي » كما نشر في الصحافة من أجل اطلاق سراحه اذا تأسف على أقواله .

عدا عن ذلك فقد افترقنا عن ماط بالود ، وفهمت منــه أنه سيعالج مطالبي وخاصة قضية نادر العفوري . كمـــا أنني أبلغت عائلته بعد لقائي مع ماط بذلك .

ان ممثل الصليب الاحمر زارني أمس واقترح علي أن أكون حاضرا ــ يقول بسام ــ لدى تنفيذ أمر الطرد . قلت لـــه انني أرفض تلقي مساعدته لان عمليات الطـــرد غير قانونيـــة ولا أقبـــل أن تكون ذات صبغة عملية بواسطة حضـــــوره .

افترقنا وقلبي مفعم بالامل أن يكون هذا كل شيء ، أن تكون هذه هي زيارتي الاخيرة اليه .

ونحن نفترق طلب مني نقل تحياته الى أبناء شعبه وأكد على صلابة رأيه وقراره احباط كل المؤامرات ، كما أرسل تحياتـــه الى أولئـــك الاشخاص في اسرائيل الذين هبـــوا للدفـــاع عنـــــه .

عندما رجعنا الى المكتب وصلت زوجته عنايـــة ، كريم خلف وابراهيم الطويل . قرروا الانتظار عندي حتى تلقي

الجواب . حدثوني عن المقاومة الشعبية لقرار الطـــرد .
ومن أقوال عناية شعرت الى أي مدى هي موحـــدة مدينة
نابلس في نضالها ضد طرده . « سأرتب لك زيارة لبسام
غدا اذا كانت هناك ضرورة لذلك » . قلت لها فابتسمت .

في الغرفة المجاورة أنصتوا للاذاعة . أعلن المذيع أن
القرار في موضوع بسام الشكعة أعاد الموضوع مجـــددا
للجنة الوزارية لشؤون الامن وأن قرارا بهذا الشأن سيصدر
قريبا . ورافقت النشرة تحليـــلات مفادها أن هناك كـــل
الاحتمالات في الغاء قرار طرد بسام .

وبينما كنـــت أقلب الاوراق التي أمامي تنبهت الى أننا
تأخرنا عن سماع الاخبار في موعدها ، قمنا للساحة المجاورة
وهناك فاجأني وجه عمر الذي كان شاحبا بصورة فجائيـــة
قائلا : « فيليتسيا ، لقد أقروا قرار الطرد بالاجماع . » .
دهشت . ناديت كريم وابراهيم بينما بقيت عناية في الغرفة
مـــع عبد . لم يحاول الرجلان اخفاء أسفهما وخيبة أملهما
العميقة . فكرت بعنايـــة ، كيف سأبشرها بذلك ؟ دخلت
الغرفة ، بدأت محادثة ولكنني لم أقل لها أي شيء بالرغم
من أنني أعرف الى أي مدى هي قويـــة . صحفيو الاذاعة
الذين وصلوا مكتبي لدى سماعهم بنبأ وجود عناية عندي ،
قدموا لمساعدتي وهم الذين « بشروها » بالقرار . صمتت
لحظة وقالت بجفاف : سنواصل نضالنا . عمليا ، لم يحدث
أي شيء . لم أكن أنتظر منهم الانقاذ ، لاننا لـــن نحصل
عليه منهم . انني واثقة بعدالة قضية بسام ، لذلك فانني
واثقة بأنه لن يطرد . كيف يمكن أن ينتصر الكذب والظلم ،
بينما يوجد في العالم أشخاص جيدون ومستقيمون ، وهنا
أيضـــــا » .

الاعلان الضخم الذي نشر في نفس اليوم في « الجروزلم
بوست » مطالبا بالغـــاء أمر الطـــرد ضد بسام من قبـــل

« الاميركيين المهتمين بحقوق الانسان أينما كــان وبارساء السلام العادل والثابت بين شعوب الشرق الاوسط » كان بمثابة مئـــة شاهد على قـــوة الاناس الطيبين والمستقيمين الذين أعلنوا تضامنهم مع بسام .

واصل المذيع تقديم التقارير عن الغليان الـــذي يسود المناطـــق وعن الدهشة التي حطت علـــى رؤوس رؤساء البلديات الذين التقوا مع وايزمان من القرار الذي أقـــر الطرد ، وأعلنوا فورا عن تقديم استقالاتهم . وفي النهايـــة استقال كل رؤساء البلديات المنتخبين ورئيس بلدية غـــزة رشـــاد الشـــوا .

عضو الكنيست فلنر نقل للصحافة البيان التالي :

« تلقينا نبأ القرار بدهشة كبيرة . لقد اتخذ بعد أن اتضح للجميع أن الاقوال التي نسبت لبسام الشكعة ليست سوى تحريض دموي مخطط سلفا . ان قرار الطرد وضع كل من يرى في اتفاقات كامب ديفيد « والادارة الذاتية » موضع السخرية والاستهتار .

« ان هذا القرار تحد للشعب الفلسطيني ، لقوى السلام في اسرائيل والرأي العام العالمي . ان كتلة « حداش » في الكنيست تقدم اقتراحا لحجب الثقة عن الحكومة ــ كما أعلنا سابقا ــ وتأمل أن تنضم اليها كتل أخرى » .

في الغداة صدرت جريـــدة « هآرتس » تحمـــل العنوان « خطأ يتبع آخر » لافتتاحيتها يتضمن انتقادا شديدا للجنة الوزارية التي أقـــرت الطـــرد في الوقت الـــذي كـــان باستطاعتها فيه اخراج الحكومة من المأزق الـــذي دخلت اليه بواسطة الغائه .

قابلني بسام بابتسامته العادية . لم يندهش ولكنه قال

أنه آن الاوان للبدء باضراب عن الطعام ابتداء من يـوم غد ، السادس عشر من الشهر بعد أن يرسل رسالة الى الوزير وايزمان . في رسالته هذه يكتب بسام أنـه يعرف بنبأ القرار الاخير المتعلق بمواصلة اجراءات الطرد ضده . لقد كان واضحا بعد نشر بروتوكول المحادثة مـع ماط على الرغم من حذف أقوال أساسية لصالحه منه ، مـن الزيف القول أن بسام يؤيد القتل ، قتل النساء والاولاد وعليه فلا توجد أية قاعدة لاتخاذ أي اجراء ضده . وبعد أن فشلت المؤامرة ضـده يحاولون المس بـه بطريقة أخرى مدعين بوجود مادة أخرى ضده للمساس بثباته النفساني .

ان محاولة تقسيم القضية الى قسمين ـ الطـرد من الوطن واشغال منصب رئيس البلدية غير مقبول لديه . انه بريء من كل ذنب ، ويطالب باعادة حريته دون أي شرط . واذا لـم ينفذ طلبه سيبدأ منـذ يوم الغد ١٦ـ١١ـ١٩٧٩ اضرابه عن الطعام دون أي تقييد للوقت .

وفي نفس اليوم سلمني بسام تحيـة للحزب الشيوعي الاسرائيلي بمناسبة ٦٠ سنة لتأسيسه ولنضاله من أجـل قضية االسلام ولتضامنه مع قضيته وقضية شعبه العربي الفلسطيني . وقد تليت التحية في المؤتمر الاحتفالي الـذي أقيم في تل أبيب .

اما في الضفة الغربية فقد ثـارت الاوضاع . اضراب تجاري في كل مدن الضفة . في القـدس أيضا عم اضراب شامل . في نابلس دخـل اضراب المدينة التجاري يومـه الخامس . في مؤتمر رؤساء البلديات الذي أقيم في نابلس تقرر أن رؤساء البلديات لن يعودوا لمزاولة عملهم ولـن يتراجعوا عن قرارهم الاستقالة طالما أن بسام غير طليق ولا يشغـل منصب رئاسة البلدية . كانت القـرارات الاخرى للمؤتمر حاسمة : منظمة التحريـر الفلسطينية هـي الممثل

الشرعي للشعب الفلسطيني ولــه الحــق في تقرير مصيره واقامة دولته . كمـــا أدان المؤتمر بشـــدة اتفاقات كامب ديفيد ومشروع الادارة الذاتية .

الدراسة لم تنتظم في المدارس . قوى الامن أعلنت عن حدوث اطلاق نار في الهواء بعد أن رجم الطلاب دوريـــة للجيش بالحجارة على طريق اللطرون — رام‌الله . لـــم يكن مصابين . المستوطنون مـــن « نفيه تسوف » أجبروا السكان المحليين على ازالـــة الحواجز التي أقيمت فـــي طريـــق بير زيت .

في مؤتمر في جامعة بير زيت باشتراك رؤساء البلديات أديـــن قرار الطرد . كتلـــة « راكاح » في الكنيست قدمت اقتراحا بحجب الثقة عن الحكومة .

موجة الاحتجاج على الطرد في الولايات المتحدة أثمرت . عنوان مثير ظهر في احدى الصحف : « الولايات المتحـــدة تقترح على اسرائيل اعادة النظر بقرار طرد رئيس بلدية نابلس » . فانس أرسل وثيقـــة الى بيغن يقول فيهـــا ان الولايات المتحدة غير راضية عن قرار الطـــرد وذلك ليس لانها حريصة على حقوق الانسان ، لانها هي التي تدفـــع ثمن أعمال القمـــع التي تقوم بها اسرائيل في المناطق منـــذ ١٩٦٧ ، ولكنها لم تستطع الصمود في وجه موجة الانتقادات الدولية في هذا الموضوع .

وتجدر الاشارة الى أن دول غرب أوروبا أيضا أدانت هذا القـــرار . صحفيون عديدون مـــن أوروبا تحدثـــوا معي وأبلغوني بما تكتبه وسائل الاعلام في هذه القضية . فـــي البلدان الاشتراكية حظيت القضية بتغطيـــة واسعة . في الاتحاد السوفياتي كتبت « البرافدا » عدة مرات عن القضية مدينة سياسة القمع الاسرائيلية في المناطق المحتلة التي تعد قضية الشكعة وجها من وجوهها .

أوساط أخرى في اسرائيل انضمت لادانة الطرد . كل جهـة لاسبابها الخاصـة . يوسي سريد وصف القـرار بهستيريا . « حوتام » ، ملحق عل همشمار كتب : يجب القول أن الشكمة وقع في المصيدة . وعمليا فقد وقعت فيها حكومة الليكود . » .

السادس عشر من نوفمبر بشرنا بنبأ لم نعرف مثله حتى الان : ١٣٢ دولـة صوتت الى جانب قرار يدعـو حكومة اسرائيل لالغاء الطرد . كان هذا التصويت الواسع ضـد صوت واحد هو صوت الممثل الاسرائيلي . هذا التصويت الفريد من نوعه في تاريخ الامم المتحدة كان برهانا علـى مدى الاهمية التي حظي بها الموضوع الفلسطيني . ولا أحد يذكر غالبية كهذه الى جانب حرية الفرد وحقه . وقد أدرك الجميع أن المساس ببسام انما هو مساس بشعبه كله .

استمـرت الاحتجاجات في العالم وحمـلات التضامـن تواصلت . « زو هديرخ » نشرت بعضا منها :

* في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة جرت المظاهرات والاجتماعات الاحتجاجية الغاضبة والاضرابات العامة لعدة أيـام . رؤساء البلديات الذين شاركوا في هـذه الاعمال وقدموا استقالاتهم منعوا بالقوة من قبـل الحكم العسكري الاضراب عن الطعام بصورة جماعية تضامنا مع زميلهم .

* اضراب الجلوس النسوي في بلدية نابلس يستمر منذ ١١ يوما. وفود تضامن تزور النساء المضربات طيلة الوقت .

في يـوم الاثنين ٩ـ١١ زارت النساء بعثة من لجنـة حقوق الانسان والمواطن ولجنة السلام العادل . شـارك في البعثة مردخاي ابي شاؤول الذي ألقى كلمات التضامن ويوسف الغازي .

* في جامعة النقب فيبئر السبع نظمت لجنـة الطلاب

العرب اجتماعا احتجاجيا رفعوا خلاله اللافتات ووزعوا المناشير . وجمعوا تواقيع طلاب ومحاضرين على عريضة احتجاجية أخرى . ونشرت لجنة السلام العادل بيانا في جريدة « هآرتس » (١٦-١١) نددت فيه بقرار طرد بسام الشكعة .

وفي ١٦-١١ جرت مظاهرة احتجاجية قرب بوابة سجن الرملة حيث بدأ بسام الشكعة اضرابه عن الطعام . واشتركت في المظاهرة منظمات « كامبوس » من جامعات تل أبيب والقدس وحيفا وممثلين طلابيين آخرين من كافة جامعات البلاد . وحضرت الى المظاهرة شخصيات وأعضاء كنيست بينهم مايرر فنلر والدكتور نعمي قيس والدكتور يسرائيل ليف والشاعر يبيي .

في ١٧-١١ يوم السبت أضرب كل السجناء السياسيين في سجن الرملة عن الععام لمدة ٢٤ ساعة تضامنا مع بسام الشكعة . في الاضراب اشترك سجناء عرب ويهود وأجانب .

وشهدت قرىالمثلث اضرابات احتجاجية شملت قلنسوة والطيرة .

وفي واشنطن نظمت اللجنة الفلسطينية لحقوق الانسان حملة تضامن واسعة مع الشكعة .

ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أرسل مذكرة احتجاج الى السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم جاء فيها : ان موقفك ضد هذه الخطوة غير القانونية وغير الانسانية التي تسعى سلطات الاحتلال الاسرائيلي لتنفيذها ضد بسام الشكعة وتدخلك الشخصي لمنع ذلك ، تدعم الوقوف بوجه الارهاب .

وأشار عرفات في مذكرته الى أن هذه الحملة والاجراءات

القمعية التي تنفذ ضد رؤساء البلديات ، والتحريض ضدهم تشكل جزءا من حملة قمع عامة تهدف الى اقتلاع شعب من وطنه ، الامر الذي يشكل خرقا لمواثيق الامم المتحـــدة وهلسنكـــي .

« هذا هو وطني .. هنا جذوري »

السادس عشر من هذا الشهر كان هو اليوم الـــذي بدأ فيه بسام الشكعة اضرابه عن الطعام . أطلعته على مقاطع صحفية من نفس اليوم . طلب مني ابلاغ الجميع أنه يبدأ احتجاجه منذ اليوم . « هـــذا هو وطني ، هنـــا جذوري ، هنا حقي في الحياة » !

في مساء ذلك اليوم ظهر الوزير وايزمان في التلفزيون للحديث في قضية بسام الشكعة . لقد بدا كمن استصعب الـــرد مباشرة على أسئلة المذيع . ثقته بنفسه لم تظهـــر عليه هذه المرة . « سنرى ... فقد يخرج من القوة شيء جميـــل » . قال كمن ينهي الموضوع ولا يفسره . « الشكعة أيد الارهاب كوسيلـــة » . واضاف : « اذا كنت مضطرا للتخطيط ، فانني لن أخطط للموضوع هكذا » .

كان الشعور بعدم الارتياح مفهوما على خلفية الغضب الجماهير يالمتزايد ، وكل محاولات قمعه باءت بالفشل هكذا حـــدث مع اضراب رؤساء البلديات عن الطعام ، هـــذا الاضراب الذي جاء يوم جمعة ١٦ـــ١١ أمام مكاتب الصليب الاحمر في غزة . فلم يسمح لرؤساء البلديات بالوصول الى غزة بأمر من الحاكم ، ولكن ممثلي كل وسائل الاعلام وصلوا اليهم وهم في طريقهم الى هناك . وعندنا ، تحرك « مشعل الظلام » مجددا ولم أشاهد ذلك علـــى شاشة تلفزيوننا ، ولكن العالم كله شاهد ذلك عدانا . صعد رؤساء البلديات سوية على التلة المجاورة القريبة من الحاجز وتحدثوا الى الصحفيين ، وسلموا مراسلي الصحافة الاجنبية بيانات بهذه

الروح : « الجماهير كلها وراءنا والان فان العالم كله معنا بعد قرار مجلس الامن » .

وفي نابلس استمر اضراب الجلوس الذي بداته عشرات النساء داخل مبنى البلدية منذ أكثر من أسبوع . وفي كلية النجاح أضرب الطلاب عن الطعام ليوم واحد ، وظهرت عناية أمامه موتحدثت عن قرار الطرد والنضال ضده ، الذي هو نضال ليس من أجل بسام كشخص ، بل من اجل حق الشعب في العيش بوطنه .

وفي دمشق تظاهر آلاف الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين ضد القرار .

وحظر على رؤساء البلديات الاشتراك في صلاة في المسجد الاقصى ، مما أثار الغضب أكثر فأكثر ونشرته الصحافة العالمية باهتمام متزايد .

وبالنسبة لغزة نفسها فان فشل السلطات كان واضحا وذريعا . فمنذ أكثر من عشر سنوات حاولوا الفصل من الناحية المهنية بين غزة والضفة الغربية . وفي قضية بسام الشكعة بدتا موحدتان أمام أعين الجميع .

أصداء التضامن العالمي كانت تصلني متأخرة أحيانا . وهكذا وصلني متأخرا خبر نشاطات التضامن في سويسرا من قبل المنظمة السويسرية الفلسطينية وحركة السلام السويسرية . ثم أبلغت بأن ٢٢ عضو برلمان في بازل يمثلون ٧ أحزاب سياسية مختلفة أرسلوا برقية لمناحيم بيغن يعربون فيها عن معارضتهم لخرق حقوق الانسان كما حدث مع بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس المنتخب من قبل أبناء شعبه ، واطلبوا باطلاق سراحه الفوري.

وفي البلاد وصلت لبسام رسالة من أعضاء كيبوتس « كيرم شلوم » تعرب عن المعارضة الشديدة لقرار طرده

ويطالبون باطلاق سراحه فورا .

... وفي غضون ذلك عكفت على إعداد الالتماس المكمل لمحكمة العدل العليا في قضيته . ومما يذكر أن الالتماس الاول قدم قبل ان يصدر ضد بسام امر الطرد وقبل أن نعرف تفاصيله المعروفة لنا الان . هذه المرة كان باستطاعتي تلقي رد بسام المباشر بصورة مذكرة على الاقوال التي نسبت اليه في محادثته الى ماط . قررت أن أضم الى الالتماس قصاصات صحف حول الموضوع لاظهار تسلسل القضية كلها أمام القضاة ، التي بدأت في الصحافة . والحقت بالالتماس مذكرة تعززه بتوقيع بسام . وهذا هو نص الالتماس : ـ

استكمال الالتماس وشرحه

١ ـ في ١٩٧٩/١١/١١ في الساعة الثامنة صباحا استدعي المستدعي الى الحاكم العسكري في نابلس وهناك علم بأنه صدر بحقه أمر طرد الى لبنان لاسباب أمنية وان من حقه الاستئناف على الامر أمام اللجنة الاستشارية للاستئنافات . لم يوقع المستدعي على الامر وطلب تسليمه لمحاميته الموقعة أدناه . الموقعة أدناه لم تحصل على الامر حتى هذا اليوم . وفي نفس الحادثة قيل للمستدعي أنه سيعتقل في سجن الرملة وسمح له بابلاغ أبناء عائلته بذلك تلفونيا .

٢ ـ وكما جاء في بند ٢ في الالتماس الاصلي ذكر اسم جريدة « هآرتس » منذ تاريخ ٧٩/١١/٧ ، وعن نشر المحادثة التي جرت بين المستدعى والجنرال ماط تقول المستدعية والمستدعى أن الاقوال التي نشرت على اسم المستدعى زورت بصورة مكشوفة .

٣ ـ في ٧٩/١١/١٢ نشرت هآرتس لمراسلها العسكري زئيف شيف ما كان من المفروض أن يكون بروتوكول أو تقرير حرفي تقريبا . وحسب أقوال المراسل المذكور حول المحادثة بين الجنرال ماط والمستدعي يمكن الوقوف على التزويرات الكثيرة للاصل كما جاء في بند ٢ من الالتماس الاصلي وبند ٢ لطلب التعديل المذكور .

٤ ـ يدعي المستدعي أن الصيغة المزورة في ملحق «أ» هي التي أثارت سلسلة ردود الفعل غير المسؤولة والهستيرية وشكلت سببا وقاعدة لاصدار امر الطرد ضده .

٥ ـ بعد نشر البروتوكول كما جاء في بند ٣ ترددت ردود فعل في غالبيتها خطيرة لان قاعدة الخطوات التي اتخذها المستدعى عليه ضد المستدعي مادت عندما وصفت صحيفة « دافار » القضية بأنها : الفأر ولد جبلا ، بقلم محررة الصحيفة حنا زيمر من تاريخ ١٩٧٩/١١/١٣ .

٦ ـ يقول المستدعي أن المستدعى عليه بارتكابه خطأ خطيرا ولكن يجد مبررا للطرد ، ودون الاعتراف بالخطأ الذي ارتكبه أو ارتكبه من يخصه ، فقد واصل ايجاد مبررات طرده

٧ ـ سيدعي المستدعي استنادا على ما جاء في البندين ٢ ـ ٣ بأنه يعارض بكل قوته قتل الناس الابرياء من أية جهة كانت ويعارض سفك الدماء . لذلك يحاول المستدعي ايجاد حل سلمي عادل للنزاع بين الشعبين ، الذي غيابه واستمرار الاحتلال الاسرائيلي هو الاسباب لسفك الدماء بينما يستطيع السلام فقط اجتثاث العنف من أية جهة .

٨ ـ يقول المستدعي أن المستدعى عليه يسعى لطرده بينما لا تمت اعتباراته للموضوع بصلة وليست نزيهة وذلك فقط لتبرير اعتباراته الخاطئة منذ البداية .

٩ ـ يقول المستدعي أن طرده الى بلاد اخرى يعارض القانون الدولي وحقوق الانسان الاساسية . الا أن طرد

المستدعي الى لبنان في الوقت الـذي تعرف فيـه معاملة الميجور حداد للفلسطينيين ليس الا تسليما للسجن يقتـرن بمخاطرة على حياته ، بكل بساطة . وبما أن المستدعى عليه يعرف أن حكومة الاردن لا توافق على استقبال المبعدين من المناطق المحتلة ، فان القسوة لا يمكـن أن تكون خـارج هـذا الاعتبـار .

١٠ — المستدعي مقتنع بأن الامر الاحترازي الذي صدر ضد المستدعى عليه والذي يحظر طرده يسري أيضا على الاعتقال كاجراء من الطرد نفسه .

١١ — وفي حالـة عدم قبـول القضاة الثلاثة المحترمين للتفسير هذا مثلما لم يقبله القاضي آشير ، يطلب المستدعي توسيع الامـر الاحترازي الذي صـدر ضد المستدعى عليه بصورة وشكل يضم كل اجراء اداري وقضائي قبل الطرد ويطلب اصدار امر باطلاق سراح المستدعي من المعتقل ، وذلك حتى ناهية الاجراءات في التماسه ضد الطرد .

محامية الدفاع

فيليتسيا لانغر

* * *

وبدأت الاقوال تتردد هنا وهناك عن وجود مادة سرية في القضيـة . وكتب الصحي غبريئيل شتيرن في « عـل همشمار » يقول : عشية البحث في محكمة العدل العليا بعد غد ذكرت « الجروزلم بوست » أمس امكانية قيام النيابة العامة بالتقدم بطلب تقديم مادة سرية لتبرير الطرد ، علـى ما يبدو ازاء الادعاءات التي سمعت علانية أو أصبحت بالية أو أنها تبدو ضعيفة . ومن مقال في « هآرتس » يتبين أن الامر يتعلق بادعاءات حول دعوة للكفاح المسلح في « أوساط

مغلقة » تستطيع ، بالطبع ، أن تصل من جواسيس سريين ، ولن يسمح لمحامية الدفاع وزوجة المستدعني أن تطلع على المادة . وحسب بند ٤٠ من أوامر الادلة يستلزم الامر دراسة أحد قضاة المحكمة العليا لا يكون من بين القضاة الثلاثة الذين يحضرون النقاش وفقط في حالة اقراره تستطيع المحكمة العليا قبول مادة سرية كهذه ، ومن المفهوم أن الامر يتم فقط في حالات غير عادية وفق المبدأ القائل أن العدل وفعلا عرفنا سلفا باحتمالات كهذه .

« الوطن » : مثل رائع في القدرة على العطاء

لقد خرجت الضفة عن بكرة أبيها للدفاع عن القضية . وبلسان « الوطن » لسان حال التنظيم الشيوعي الفلسطيني المحظور في الضفة الغربية فان « هبة شعبنا المظفرة ضد محاولة ابعاد الشكعة كانت حافزا لتحقيق الانتصارات في النضال ضد الاحتلال والادارة الذاتية »

وتضيف « الوطن » في عددها الصادر في أوائل كانون ثاني ١٩٨٠ : — مرة أخرى ضربت جماهير شعبنا في الاراضي المحتلة مثلا رائعا في القدرة على العطاء النضالي والبسالة في التصدي للاحتلال والصلابة في الدفاع عن حقوقها الوطنية . وتكلل النضال العارم ضد قرار ابعاد المناضل بسام الشكعة بالنصر التام وباجبار المحتلين الصهاينة على لملمة غطرستهم والتراجع عن قرارهم الجائر وهم يجرجرون أذيال خيبتهم .

« ومنذ اللحظة الاولى أصبح واضحا أن قرار الابعاد ليس الا خطوة مدروسة ضمن سلسلة النشاطات الرامية الى تفكيك الحركة الوطنية وتهيئة الاجواء الملائمة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي .

«.وكان جليا أن نضال جماهيرنا الفلسطينية ضد الابعاد لم يكن موجها للحيلولة دون ابعاد شخصية وطنية مرموقة عن أهلها ووطنها فحسب بل كان يجري ضد الدوافع الإساسية لاولئك الذين صنعوا القرار وخططوا له .

« واستطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة أن تنتزع بجدارة زمام المبادرة في قيادة النضال ضد قرار الابعاد مستندة الى عمق ارتباطها بالجماهير ووضوح الرؤية السياسية لديها .

« وقد ساعدها ذلك ليس فقط على سرعة اتخاذ القرارات السليمة ، وخاصة قرار الاستقالة الجماعية للمجالس البلدية في الضفة الغربية بل وعلى تحقيق قيادة منظمة وناجحة للنضال الجماهيري . ولعبت الوحدة الوطنية التي تجلت بين قواها المختلفة دورا حاسما في الارتفاع بالنضال الى مستوى متقدم ، واكسابه طابعا حازما سد الطريق على كل محاولة للمراوحة والتردد .

« وبدن أي شك فان الهبة الوطنية العارمة ما كانت لتتكلل بالنجاح الباهر لولا استنادها الى عوامل القوة الفلسطينية التي أفشلت حتى الان وستفشل كل محاولة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي .

« وأول هذه العوامل ، المشاركة الواسعة للجماهير الشعبية وبأشكال مختلفة في النضال ضد الاحتلال . وقد لعبت التنظيمات الجماهيرية كالنقابات العمالية والاتحادات الطلابية والتنظيمات النسائية والنوادي والجمعيات المختلفة دورا بارزا في تنظيم وتوسيع هذه المشاركة واكسابها أكبر زخم ممكن .

« وقد كان لنشاط القوى التقدمية والديمقراطية في

اسرائيل ، وعلى رأسها الحزب الشيوعي الاسرائيلي الشقيق دور هام في تأمين تضامن فعال مع بسام الشكعة ومع النضال الجماهيري ضد ابعاده . وساعد ذلك النشاط من خلال الصحافة المحلية والعالمية ومن خلال أصوات النواب الشيوعيين الجريئة في الكنيست ، على فضح وتعرية سلطات الاحتلال وأسهم في اجبارها على التراجع عن قرارها . وبدون أية مبالغة فقد كان للرفيقة الشيوعية والامية الباسلة فيليتسيا لانغر الدور الرئيسي في الحيلولة دون تنفيذ قرار الابعاد فورا . وبنشاطها المتفاني وسرعة مبادرتها وبعد نظرها السياسي ، فقد أعطت هذه الرفيقة للجماهير الفلسطينية ولحركتها الوطنية الفرصة الكاملة لتفرض ، بنضالها ، على الاحتلال ، التراجع عن قراره .

« تماما مثلما قدم بسام الشكعة ، بصموده في السجن ، وصلابته في احباط المناورات والمساومات التي حاول الاحتلال اللجوء اليها ، الفرصة لجعل النصر كاملا وواضحا كالشمس .

« واذا كانت العزلة الفاضحة التي لحقت باسرائيل على الصعيد الدولي ، ووقوف الرأي العام العالمي الى جانب شعبنا في نضاله ، قد أسهم في اخراج سلطات الاحتلال فأن نضال جماهيرنا البطولي قد ساعد على تحقيق مزيد من العزلة بحكام اسرائيل وعلى كسب المزيد لقضيته . وجاءت قرارات الامم المتحدة التي أدانت قرار الابعاد وطالبت بالغائه لتعكس بوضوح رفض العالم لسياسة اسرائيل العدوانية واضطهادها لحقوق الانسان الفلسطيني. وأكدت هذه التجربة أن تضافر الجهود المحلية النضالية مع تأييد ودعم قوى التحرر والسلام والاشتراكية العالمية كفيل بتعزيز امكانيات الانتصار والحاق الهزيمة بالمعتدين واجبارهم على التراجع » .

وكتبت « كفاح الطلبة » التي يصدرها اتحاد الطلبة الفلسطيني في الضفة الغربية عن هذه القضية بنفس الروح المتفائلة .

وتحرك الشيوعيون في الضفة الغربية مؤكدين بنضالهم اليومي الدؤوب على مدى فاعليتهم في الاحداث السياسية ومقدرتهم في تحديد شكل وطبيعة النتائج المترتبة على هذا النضال .

« هل تريد بدء الدفاع بالهجوم »

يوم الاحد ، الخامس والعشرين من الشهر وعندما زرت بسام في السجن شاهدته شاحبا أكثر من قبل . حدثته عن قرار بلدية نابلس وكل المؤسسات الوطنية الذي أرسل اليه ، وطلب عناية أيضا بوقف اضرابه . وانا أيضا : « بسام ، يطلبون منك ذلك » ، أضفت : « لا أستطيع التوقف يا فيليتسيا . يؤسفني ولكنني لا أستطيع الاستجابة لكل الطلبات . هذا هو السلاح الوحيد الذي تبقى لي للاحتجاج ضد الظلم والغبن اللاحق بي . هذا هو ما أستطيع أن أقدمه للنضال العام من أجل تحرره وحقه ، الذي يجري في الخارج ويقوم به الشعب . لا أوافق على اي تغذية اصطناعية وسأعارضها — لقد ألمح لذلك طاقم الاطباء الذي فحصني » . قال لي .

قمنا بتحليل الالتماس وخاصة كل ما يتعلق بالتغيير المفاجىء الذي حصل في ١٤—١١ في مواقف الوزير وايزمن شخصيا . وكتبت بعض الصحف أن الوزير غير رأيه بعد أن اتضح له أن منظمة التحرير الفلسطينية تؤيد استقالة كل رؤساء البلديات ، لذلك فقد فكر أن الغاء الامر سيعد خضوعا لمنظمة التحرير . على كل حال كان واضحا لنا أن

هذه التقديرات لا علاقة لها مع بسام الذي ليس مسؤولا عن أي عنصر خاصة وأن مصيره يجب ألا يتأثر بتلك .
واذا كانت هذه هي تقديرات الوزير فانه اذن لا يوجد بين هذا وبين الاتهامات ، بقدر المستطاع ، ضد بسام أي شيء . وهذا لن تأخذه اللجنة بعين الاعتبار عندما سنظهر أمامها .

طلبت من بسام عدة تفصيلات بالنسبة لبعض ما نشر في الصحف . مثلا طلبت رأيه في ادعاء الوزير وايزمان بأن بسام حذر في لقاء سابق معه . بسام يتذكر تفاصيل اللقاء وقال لي انه فعلا في ٨ آب هذا العام استدعي الى الوزير . بدأت المحادثة بقول الوزير لبسام انه يحترمه لرأيه وانه على استعداد للدفاع عنه بشجاعة ، وأن وايزمان كان هكذا في شبابه .

الوزير قال لبسام أنه ينفذ صراعا سياسيا وغيره في المناطق ضد السلطات وانه قد يعاقب على ذلك كما تتم معاقبة أعضاء المنظمات الفلسطينية . وأضاف ان بسام يعد ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في المناطق . وايزمان أضاف : « الطريق الى السلام تمر من حيفا (التي زارتها بعثة مصرية برئاسة السادات للمحادثة مع الاسرائيليين) . واذا كان السلام يعنيك فانني سأسافر معك الى هناك للبحث في السلام . » .

بسام سأله ما هي نواياه عندما يتحدث عن « النضال الاخر . » . أجاب الوزير : « هل تريد بدء الدفاع بالهجوم ؟ » ... « لا .. ليس الامر هكذا ، فقط أردت أن توضح لي لكي أرد عليك » أجابه بسام . وايزمان أوضح أن القصد بالنشاطات الاخرى هي اشتراك بسام بمظاهرة ضد مستوطنة « الون موريه » بالاشتراك مع سكان نابلس .

بسام أجابه : « لا ، نحن لسنا ممثلي الشعب بل منظمة التحرير الفلسطينية ، التي هي ممثلنا وهذا معترف به في العالم العربي والعالم كله » .

بالنسبة للنشاطات السياسية فاننا لا نقوم بالنشاطات السياسية في غياب خطط أو خط سياسي أو أية امكانية أخــرى . وبالنسبة لــ « ألون موريه » فــان المظاهرة ونشاطات اخرى ليست سوى تعبيرا رمزيا عن آلامنا وسحق حقوقنا ... كيف يمكن أن تمنعونا من الاحتجاج وتضربونا يوميا وتمنعونا من التنهد ؟ » سأل بسام .

الفراق كان وديا ، ووعد وايزمان بسام بالتعاون في شــؤون مدينتـــــه .

ــ « معروف لي أن كل سجين من نابلس تقريبا المتهم بالانتماء الى منظمة غ يرقانونية ، عندما يحقق معه يسألونه عن علاقاته بي . انهم يريدون ادانتي واسقاطي في الحفرة ... وهذا أمر صعب .. انهـــم حتى لا يتخذون اجراءات احتياطية » .. قال لي بسام .

أيـــة أخلاق لديهم ، تساءل بسام بدهشة ، بعـــد أن افترقنا لم أفكر انه بعد نصف ساعة تقريبا ستذاع تفاصيل اللقاء ، بصورة مزورة ، في الراديو . هو فارقني بطريقة حسنة ، وفهمت أيضا انه سيبحث في قضية نادر العفوري ، وهكذا أيضا أبلغت عائلته . » .

وخلال الزيارة في ذلك اليوم ، حدثني بسام عــــن اضرابه عن الطعام والتضامن معه من قبل السجناء العرب الذي بدأ في ١٣ــ١١ . « أنت تذكرين أنهم أخـــروك في البوابة الرئيسية بادعاء وجود خطأ في عدد السجناء ؛ في ذلك اليوم بــدأ الاضراب ، ودخــل السجانون للزنازين

وضربوا المعتقلين بشدة . » . اذن ، هذا هو الخطأ في العد . بعد عدة أيام ، وعندما التقيت عددا من الاشخاص سمعت منهم عن الاهانات والتنكيل الذي لحق بهم . أحد السجناء أطلعني على بقع الدم على بنطلونه من الضرب الذي لحقه في يوم « الخطأ في العد » .

خيبة أمل

عندما استفسرت من رؤساء البلديات الذين قابلوا وايزمان فهمت منهم أن اعتباراته لم تكن أمنية بالمرة . وأدلى رئيسا بلديتي الخليل وبيت لحم بالتفاصيل حول لقائهم بوايزمان وخيبة أملهم من التصريح الذي أذاعه الراديو في ظهر يوم ١٤-١١-٧٩ عن اللجنة الوزارية لشؤون الامن الذي أعلن أن وايزمان أيد ابعاد الشكعة .

في غضون ذلك بدأت عناية اضرابها عن الطعام . أولا أمام مكتب رئيس الحكومة وبعد ذلك في مكتب الصليب الاحمر في شرقي القدس . شاركتها الاضراب نساء من الضفة وممثلات منظمات نسائية . رؤساء البلديات قدموا للتضامن معها . وأبلغت عناية ممثلي وسائل الاعلام : « ان الطرد المرتقب لزوجي مؤامرة دنيئة ، وأنا مستمرة في اضرابي عن الطعام حتى تتراجع الحكومة عن نواياها . » .

وتحدثت عناية أن زوجها ضعف جسمانيا وفقد من وزنه عشرة كيلو غرامات ولكنه من الناحية المعنوية صلب ومعنوياته عالية .

دخل اضراب بسام عن الطعام يومه الحادي عشر ولا يوجد هناك أي أمل بأنه سينهيه .. نابلس أضربت تجاريا. زرت في ٢٦ الشهر بسام بصحبة وليد الفاهوم وعبد عسلي. كان هذا يوم زيارات للسجناء القابعين في السجن .. أهالي

السجناء نسوا أنفسهم وأبناءهم : « المهم أن تنجحي مع بسام ... الله معك » . هذه الكلمات ترددت مرات ومرات في السجن . عندما طالعتني عينا بسام ازدادت دقات قلبي ... لاجله ... عيناه تحولتا الى رمز للنضال من أجل حق الشعب في أن يعيش في وطنه ، والى رمز للارادة المصممة على الانتصار في النضال العادل هذا .. انه قوي وموحد ، وجذوره قوية ، وهكذا بدأت أومن أنه سيثمر .

خلال هذه الزيارة حدث شيء أسموه « بالصفقة » . وليس من المعقول مناقشة التفاصيل الان . كان عنوان « معاريف » الرئيسي في ذلك اليوم : « القدس : اذا قدم استقالته ، سيتم بحث قرار الطرد مجددا .. الشكعة : لن أستقيل » .

وهذا نص الخبر : اذا قدم رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة استقالته من منصبه وأدان الارهاب فان الحكومة قد تعيد النظر في قرار طرده مجددا . ليس المقصود « صفقة » وقرار الحكومة واجراءات الطرد مستمرة ،ولكنه موقف أوساط رسمية في القدس والذي على ما يبدو بحث أمس في القدس في اللجنة الوزارية لشؤون الامن .

لانغر : الشكعة

لن يستقيل

« محامية الشكعة — يضيف الخبر — فيليتسيا لانغر أبلغت مراسلنا هذا الصباح أن الشكعة غير مستعد بأي شكل من الاشكال للاستقالة من وظيفته كرئيس بلدية . ونفت وجود أنباء تظهر موكلها كما لو كان مستعدا للقيام بذلك مقابل أية تسوية مع الدولة » .

لم يوافق ولو للحظة أحد من رؤساء البلديات أن على

بسام الاستقالة . عناية زوجته كانت مستعدة للتنازل عن عودة بسام زوجها الى البيت على أن يتنازل عن وظيفته التي اختـــاره اليها شعبه . بسام نفسه أدان واستنكـر الاقتراح ورأى فيه مؤامرة : « ان أي مساس برئيس بلدية هو مؤامرة لاجبار الشعب على قبول خطة الادارة الذاتية التي هي سكين في قلب الشعب » . قال بسام ....

لم يخضع للتهديدات ، ورفض ساخرا من الاقتراح ، ولم يكن مستعدا لشراء حريتـــه بأي ثمـــن . ولكن الامال بتركيعه لم تتوقف . النائب العسكري الرئيسي اقترح على تأجيل مباحثات اللجنة وأنا فهمت أن هناك من يفكر أنـــه خلال هذه الفترة سيعود ويتراجع عن تصلبه ويستقيل .

* * *

اذن ، لقد دخلت الحكومة مصيـــدة ، ودخلت فـــي تعقيدات لم تعرفها ، كيف تتخلص من اعتبارات زائفة ، ومن رغبة في تجاوز ضباطها الذين أدخلوها لهذه التعقيدات، وتقف أمام الرأي العام في البلاد ، والعالم .

وكتبت الصحف بهذه اللهجة عن « مقدرة الحكومة على تعقيد نفسها .. » .. « معاريف » في افتتاحيتها يـــوم ١٧ــ١١ أجادت في التعبير عـــن حال الحكومة . ودعـــت الصحيفة الحكومة الى « انهاء القضية المؤلمة بسرعة ــ الى هنا أو هناك . » .

جلسة أخرى للجنة العسكرية تأجلت ... والامـــور تتلاحق .. تقرر عقد جلسة أخرى في ٢٨ــ١١ الساعـــة الرابعة بعد الظهر في سجن الرملة . كل واحد كان بامكانه أن يشعر أن اللجنة تجتمع في جو انتقاد عام ضد الطرد ،

بينما دعت الصحافة الحكومة في ذلك اليوم للتراجع عن مواقفها . « هآرتس » كتبت في ذلك اليــوم تقول : ــ « على الحكومة أن تتسلح بالقــوة وتميز ان عليها دفــع الثمن ــ ثمن الخطأ الذي فعلته ، والغاء أمر الطرد دون انتظار قرار لجنة الاستئناف العسكرية ، ومحكمة العــدل العليا ، والتخلي عن فكرة أنها تستطيع الخروج من القضية بربح متواضع ــ عزل بسام الشكعة مــن منصبه كرئيس لبلدية نابلس ... ان التراجــع التام هــو الان المخرج المحترم الوحيد من العقدة » .

في صباح ذلك اليوم عقد رؤساء البلديات مؤتمرا لهم في بلدية نابلس اشترك فيه حوالي ٢٠ رئيس بلدية . وفــي البيان الذي صدر عن المؤتمر دعا رؤساء البلديات الــى حملة احتجاج واضراب عام في كافة أنحاء الضفة ، اضراب يشمل العمال والمواصلات ــ اذا تم تنفيذ أمر طرد رئيس بلديــــة نابلــس .

كان هــذا ردا على موقف السلطات المتعنت . ومــن المؤتمر خرج رؤساء البلديات الى سجن الرملة حيث كانت اللجنة تستعد لبدء مباحثاتها .. علمت أن النائب العــام يعكوف أور يرئس الجلســة ، وهـــو رئيس المحاكم العسكرية في الضفة ... ما حدث هو أن التعتيم الكامل فرض على الجلسة ومنعنا من الادلاء بأي تفصيل أو تصريح .

خلال ذلك أقنعت بسام بضرورة انهاء اضرابه عــن الطعام ، إستجابة لنداء رؤساء البلديات وأبناء شعبه وبلده.

وخلال ذلك ، استمرت الاخطاء الناجمة عــن الكبرياء التي تمرغت فيما بعد ، بالوحل .

تعتيم كامل ، وأفواه مغلقة ، بالدعوى اياها : أمور امنيــة . بدأوا يتحدثون عن « صندوق اتهامات » ضــد

الشكعة ، يصفه بأنــه مسؤول أمني كبير (ان لم يكــن الاول) في منظمة التحريــر الفلسطينية في الضفة الغربية وغير ذلك . كل هذا كان مدعاة للسخرية مــن الحكومة التي دخلت مرحلة العد الناقصة . . الى الوراء . . حيث . . ..

الكبريــاء ... والوحــل
وكرامـــة الذيــن علــى حــق

رفضت اللجنة توصياتها ... في وقت متأخر اعلــن في الاذاعة على لسان الجنرال بن اليعازر أنه درس كــل المادة التي قدمت اليــه ، وتوصيات اللجنة ، ومنحتني أن أدرس مجددا الموضوع . وبعد أن تشاورت مع المسؤولين عني ، وبعد أن درسنا بعناية كل توصيات اللجنة ، قررت الغاء أمــر الطرد ...

وهذا ما أعلنه بن اليعازر في مؤتمر صحفي في بيت ايل ... قال ان اعتبارات كثيرة أدت به الى الغاء مــر الطرد ... أولها صالح مدينة نابلس وأبناء عائلة الشكعة ولم ينس بن اليعازر القول انه حذر الشكعة .

أعلن المذيع ايضا أن الشكعة احضر الى بيت ايل في ساعات الصباح وانه خرج من هناك الى نابلس .

ونقل المذيع رد فعلي الذي أعربت فيه عــن ارتياحي التا مللقرار . خرجنا الــى نابلس ... سافــر معنا في السيارة عمر وسلمان ... كنت لا أفكر الا بهذه اللحظات العظيمة التي حزنا عليها ... التي نعيشها . نابلس ، عندما وصلناها ، كانت خلية نحل ... « شكرا لكم ، أعلن بسام الذي حملته الالوف على أكفها ، انني مديــن لكم بحريتي . » .

بعد ساعة من الاعلان عن قرار الغاء طرد بسام هنأه ماير فلنر من على منبر الكنيست بالقول : انني أريد بهذه المناسبة أن أعرب عن فرحي من على منبر الكنيست وعن فرح الكثيرين لاطلاق سراح بسام الشكعة من السجن والغاء أمر الطرد الذي صدر ضده . اننا نبارك كل أولئك الذين ساعدوا العدل لينتصر ، وساهموا في اطلاق سراح بسام الشكعة . كان ذلك بفضل موقف رؤساء البلديات الموحد ، ولكل الشعب الفلسطيني ، كان ذلك بفضل معارضة غالبية الراي العام في اسرائيل للطرد ، طرد رئيس بلدية منتخب من وطنه . كان هذا بفضل قرار الجمعية العمومية بالاجماع وبفضل الدفاع القضائي المحذر والناجح برئاسة المحامية الشجاعة فيليتسيا لانغر التي اضافت الاحترام للشعب اليهودي في اسرائيل . ويجب على الحكومة أن تدرس وتتعلم من فشلها ، فشل سياستها العاملة ضد الاهداف الحقيقية لشعب اسرائيل » .

* * *

مرة اخرى : الطريق الى نابلس ... مبنى البلدية مثل خلية نحل بالمهنئين ... عبر الجموع وصلت الى غرفة مغلقة كتب على يافطة معلقة على بابها : « رئيس البلدية » . نقرت على الباب بخفة وفتحته ، بسام يجلس بالقرب من طاولته . لمحني ، ابتسم ، : « هذه اللحظة بالذات كان اسمك على شفتي ... ولم أنه الجملة حتى فتحت الباب ... » ... قام ، ... وحولنا باقات الورود ...

ــ « جئت لرؤيتك هنا ، لمشاهدة رئيس البلدية في مكتبه » . قلت له .

أفكر ، بيني وبين نفسي : ماذا ينتظر هذه المدينة في ظل الاحتلال ... مدينة عظيمة هي نابلس ... لا أحد حتى الآن استطاع من تركيعها .. برغم الاحتلال .

مع ذلك ، فقد طالته ايديهم . كان أسلوبهم هذه المرة : القتـــل . ليس نسج خيـــوط مؤامرة مفضوحـــة ، ليس مصيـــدة ، على اختـــلاف أنواعها . لا محاكم ، كشفت المتآمرين ... وليس اقوالا .

عليه أن يعاقب لانهم لم يتمكنوا من طرده ، لانه أظهر أنه محق ، لانه أظهر أنه لا يؤيد القتل بل يؤيد السلام ، طالب سلام ، هو ، يعاقب لان الكل أيده ، وشعبه توحد حوله ، حتى غالبية الشعب في اسرائيل كانت بمثابة سند له ، يعاقب لانه لم يخن مبادئه ، يعاقب لان الشعب يحبه، وهـــو يحب شعبـــــه .

القنابـــل انفجـــرت مع الصباح في رام اللـــه ونابلس والبيرة . كريم خلف وبسام الشكعة أمروا أن يدفعوا حياتهم ثمنا . ابراهيم الطويل نجا بأعجوبة . في سوق الخليل جرح سبعة أشخاص ، نتيجة انفجار عبوة تخريبية وضعت في ذلـــك الصبـــاح .

اليد ((الخفية)) عملت في المناطق الخاضعة لمراقبـــة جيش الدفاع الاسرائيلي الشديـــدة . كيف ، قـــد يسأل سائل ؟ الجواب مثير للرعب !

بقوا في الحياة . كريم فقـــد قدم رجله وبسام فقـــد رجليـــــه معـــا .

ارضية الساحـــة التي يحبهـــا بسام كانت مغطـــاة بدمـــه ، واولاده وقفوا بالقرب من السيارة التالفة التي

بقيت فيها رجلاه . عناية ، المحاربـــة ، الزوجة المحبوبة تضاءلت بشحوبها وغطى ضباب كثيف عينيها من شدة الالم.

أطلقت الرصاصات علـــى المستشفى والغاز المسيـــل للدموع في غرف المرضى ، والشبان المتقدة عيونهم ، وعلم فلسطين الذي ارتفع عاليا ، وكانت هناك ابتسامة بسام للاطباء الذين وقفوا حوله ، ولي . ابتسامة شاقة ولكنها منتصـــرة . ابتسامة لم أر مثلها لاحتى الان .

ألـــم وحـــزن بـــلا حـــدود .

وكـــان غضب . غضب الشعب . فقط ، المتوحشون لا يخشون غضب الشعب ، وقبضته المتكورة ــ قبضـــة طفل، وبريق العداء في عيون الفتيات ، ومن ادانة شعبهم هم لانهم يفرضون عليه عـــار القمـــع والقتل ــ قتـــل الشعـــب الاخـــر .

مع ذلك ، فالعزاء في انه على قيد الحياة ، في انهـــم لم يقدروا عليه ، وانسان له قلب كقلبه سيشعر بأرض الوطـــن حتى دون ان يطأهـــا ...

صـــــدر للمؤلفـــة :

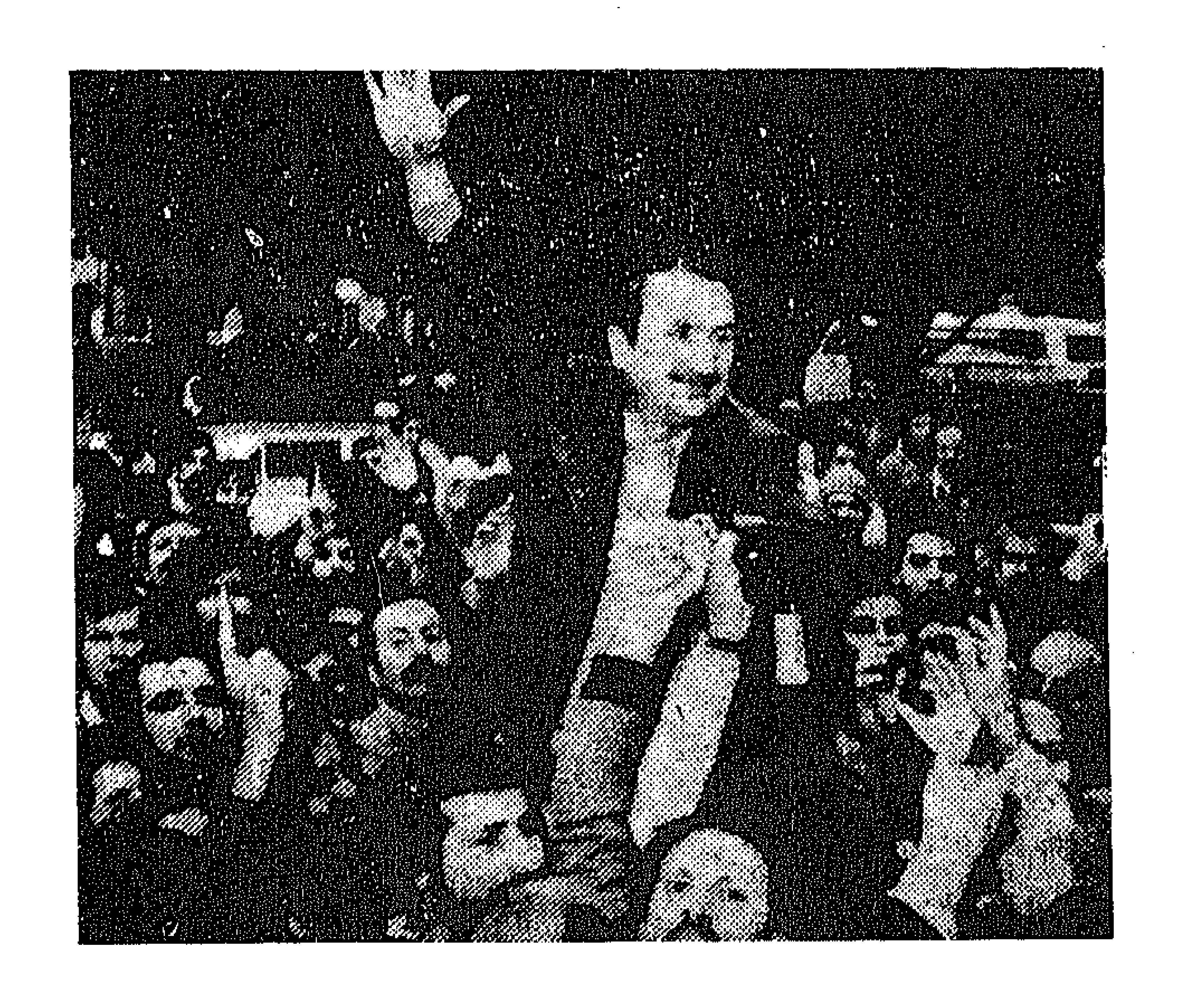
* **بـــأم عيني** ـــ منشورات صلاح الدين
* **أولئك اخواني** ـــ منشورات صلاح الدين
* **مـــن مفكرتي** ـــ منشورات الكاتب

هـــــذا
الملحـــق الفوتوغرافـــي

الى جانب الكلمة ، المكتوبة والمسموعة ، والى جانب الذاكـــرة ، والصورة التي في الذاكرة ، كانـــت الصورة العادية ، شاهدا على عظمة الشعب العربي الفلسطيني وعلـــى أهمية دوره النضالي في تحديد مسار القضيـــة كلها ... وكما جاء في شرح احدى الصور القادمة فالجماهير هي التي أطلقت سراح بسام الشكعة ، ومنها كان عنوان هذا الكتاب ، الوقائع التي سطرها شعب .

الناشـــر

في أثناء محاكمة خلف والطويل



بسام الشكعة امام البلدية لدى وصوله اليها مساء



مظاهرة امام المحكمة الاسرائيلية العليا للمطالبة باطلاق سراح بسام الشكعة



سيمشي ... وهذا طريقه



حوار مع عمال شركة كهرباء القدس • يبدو في الصورة
أمين ســـر نقابــة العمـــال



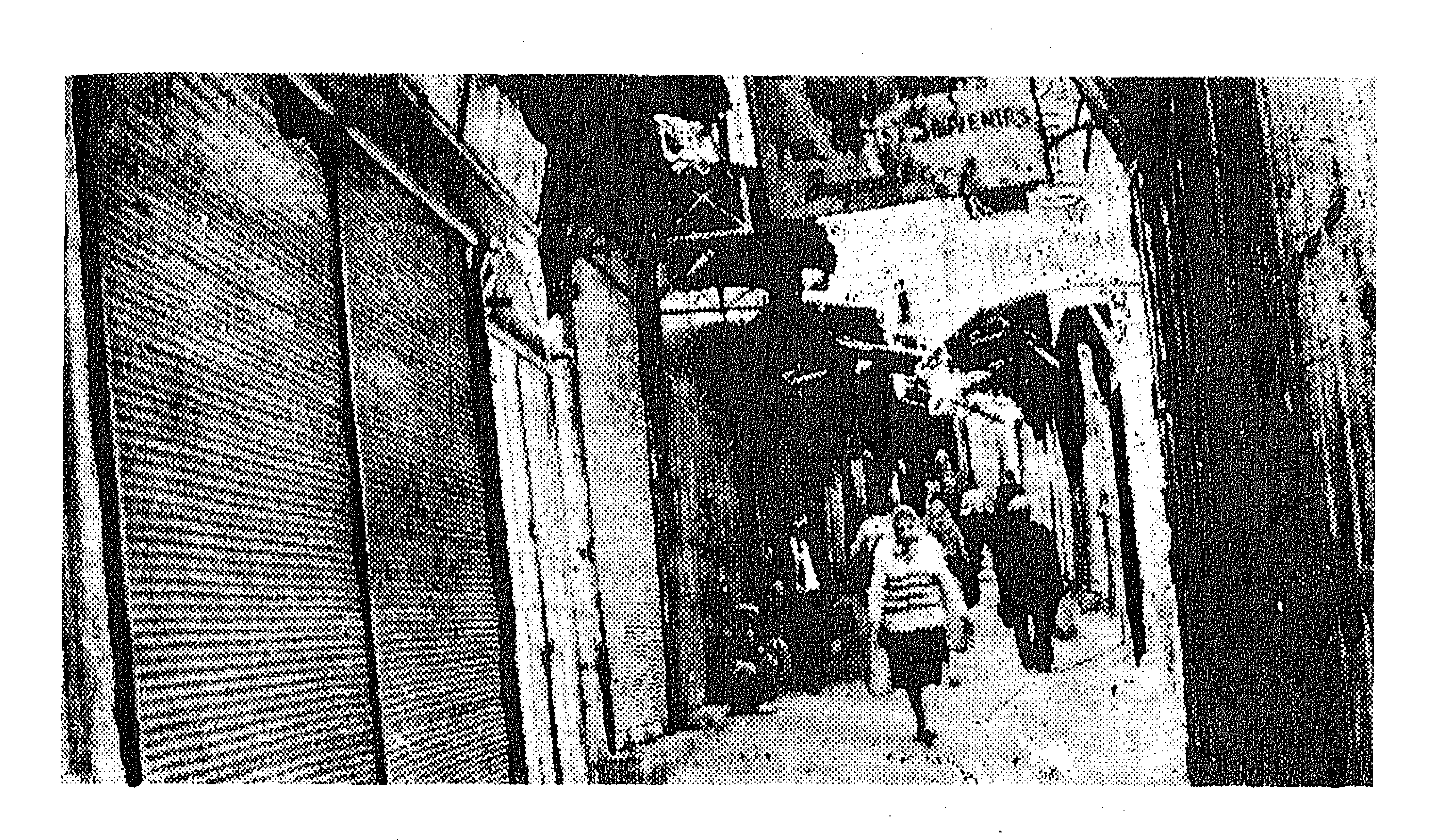
يا كريم ويا بسام
الشعب أقوى من الظلام



مؤتمـــر بيــت لحـــم



مظاهـــرة تضامـــن



الاضــراب في مــدن الضفة الغربيــة



هكذا بدت الساحه امام المحكمه العليا الاسرائيلية
في كـل مـرة قـدم اليها الشكعـة



بسام الشكعة في مستشفى رفيديا مباشرة ،
فور محاولة الاغتيال الجبانة



مؤتمـــر عـــام ...
باشتراك الشكعة وخلف والقواسمي والطويل



اللقـــاء الاول
أيـــادي الجماهير تحتضـــــن الشكهنة



فـــي جســـر الاحـــزان



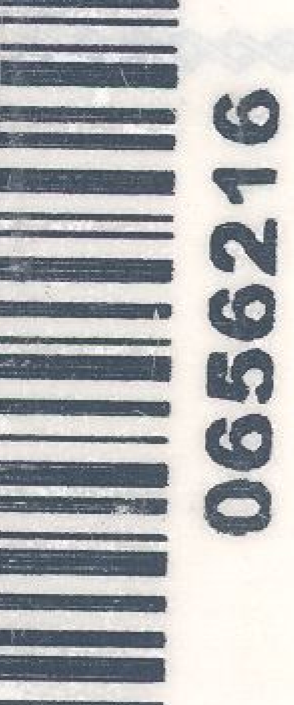
سيارة الاسعاف لدى وصولها منزل الشكعة في رفيديا



عائـــدا مـــن عمان عبـــر جسر اللنبي
حيـــث قلـــوب الجماهـــير



بسام وكريم في عناق الاخوة خلال
أول لقاء تم بينهما بعد محاولة الاغتيال
الاجرامية ، في مدينة الحسين الطبية .



وكالة أبو عرفة
للصحافة والنشر
القدس